



طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

عدد 99

01 أيلول 2025



نحو مشروع للنهوض القومي



محتويات العدد 99 من مجلة طلقة تنوير:

- الموقف القومي من مسألة الأقليات والانفصال: تحديثات 2025 / إبراهيم علوش.....2
- الحذاء الأمريكي: من ملء الفراغ إلى سد الثغرات / أسماء عواد.....8
- كنعان وفلسطين: أهل غزة أصولهم من شمالي سورية، لا كريت / فارس سعادة.....11
- فرنسا وأقاليم ما وراء البحار: استعمار مقنّع بالشرعية الجمهورية / عبد الناصر بدروشي.....17
- المصلحة قبل المبدأ: البريكس كنموذج لعلاقات حيوية مع الكيان الصهيوني في ظل خطاب معارض للهيمنة الغربية / إبراهيم حرشاوي.....23
- المخاطر التي نشأ فيها المد القومي العربي والطريق إلى الأمام / واصل البدور.....33
- التطبيع .. الصفقة الخاسرة / كريمة الروبي.....39
- من سورية الكبرى إلى غيتو دمشق السلجوقي / سيف أبو عراج.....41
- الصفحة الثقافية: فيلم "الأرض" حكاية الفلاح المقاوم / طالب جميل.....44
- قصيدة العدد: شمس الحق / عبد الرزاق عبد الواحد (في الذكرى السنوية الأولى للراحل العظيم).....47
- ملف رسوم العدد.....49



الموقف القومي من مسألة الأقليات والانفصال: تحديثات 2025

إبراهيم علوش



يستند النص الآتي إلى الفصل الثالث من كتاب "مشروعنا: نحو حركة جديدة للنهوض القومي" (2009). وكان عنوان ذلك الفصل "الهوية القومية تحت الحصار / مشروع التفكير ومسألة الأقليات".

تناول ذلك الفصل الموقف من دعوات إضعاف الدولة المركزية بذريعة تعزيز حقوق الفرد والحكم المحلي، بالتلازم مع السعي لشطب هوية الأرض، أو عروبتها، ومشاريع تفكيك الأقطار العربية، من العراق إلى المغرب.

وهي أصلاً مشاريع تفكيك تستند إلى هوية مفككة، هي الهوية القطرية، التي وضعت القطر في مواجهة الأمة العربية، قبل أن توضع الطائفة والقبيلة والمنطقة والهوية العرقية في مواجهة القطر. كما تطرق ذلك الفصل إلى العلاقة الجدلية بين الحس

الْقُطري (أو الإقليمي) من جهة، وبين الاستعداد، من جهة أخرى، للتعاطف مع العدو الصهيوني في إطار تسوية سياسية، وكيف ينطبق ذلك على الحس القُطري الفلسطيني، الذي استبدل هدف التحرير بهدف تأسيس دولة، أولاً.

وكان مما خلص إليه ذلك الفصل في مسألة الأقليات:

لا تخلو دولة في العالم من الأقليات. ولكن مفهوم الأقليات في ظل مشاريع تفكيك الأرض والهوية والشعب بات يحتمل في بلادنا الكثير من المعاني المتناسلة، وكأن الوطن كله قد أمسى حيزاً لتداخل أقليات بلا هوية جامعة، يطغى فيها الخاص دوماً على العام.

والأقلية بالأساس إما أقلية عددية كبعض المجموعات العرقية أو الدينية كالأفارقة الأمريكيين أو الكاثوليك في الولايات المتحدة مثلاً، وإما أنها أقلية بحكم وضعها الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي المهمش بفعل طغيان الأغلبية المهيمنة، ولذلك، تعتبر المرأة في الغرب مثلاً أقلية مع أنها أكثر قليلاً من نصف المجتمع. وهكذا تصبح الأقلية أية مجموعة ترى بأنها تتلقى معاملة غير متساوية مع باقي المواطنين بسبب صفات جسدية أو ثقافية أو اجتماعية خاصة بها، حسب التعريف السائد للأقلية، كما وضعه عالم الاجتماع الأمريكي اليهودي لويس ويرث.

وسواء اعتمدنا مقياس الأقلية العددية أو مقياس التهميش، فإننا يمكن أن نشق عدداً لا نهائياً من الأقليات عملياً من أية مجموعة نعتقد بأن لديها قضايا مشتركة تميزها عن غيرها. فالطلاب بهذا المعنى أقلية، وكذلك المتقاعدون... ومن يزاوون أية مهنة من المهن يبقون أقلية في المجتمع، وفي الغرب يعتبر المثليون جنسياً أقلية، وكذلك يعتبر المعاقون حركياً أو ذهنياً، وهناك أقليات اقتصادية مثل العاطلين عن العمل أو الفقراء من العمال (تميزاً لهم عن العمال غير الفقراء)، وهذا ناهيك عن الأقليات العرقية أو الدينية، وهكذا، حتى تصبح كل جماعة أقلية وكل فرد جزيرة!

لا ينفي ما سبق أن هناك أقليات حقيقية في الوطن العربي ذات مطالب وقضايا عادلة، ولكن ما يجري اليوم لا يتعلق بحقوق أقليات، بل بمشروع حقيقي للتفكيك. ومن هنا تأتي هذه المحاولة لتأسيس بعض الخطوط العريضة كمنطلق للتعاطي مع قضايا الأقليات في بلادنا:

(1) إن حقوق الأقليات شيء، والاستقواء على الأمة بقوى الهيمنة الخارجية شيء آخر مختلف تماماً. ومن حق الأقلية على الأغلبية أن تتمتع بحقوق مواطنة كاملة، ومن حق الأغلبية على الأقلية أن لا تمد يدها أبداً للخارج أو لأعداء الأمة.

(2) إن الأساس هو الانتماء والولاء للأمة وللهوية العربية-الإسلامية. ولو نظرنا إلى المكونين الأساسيين في تلك الهوية، لوجدنا العروبة فيها تشمل غير المسلمين، ويشمل الإسلام غير العرب من الأقليات المسلمة في الوطن العربي. كما تشمل الثقافة الإسلامية كل العرب مسلمين وغير مسلمين، والثقافة العربية الإسلامية وعاء للجميع، وهي تختلف بالتعريف عن مشاريع الإسلام السياسي.

(3) إن إزالة الحيف عن الأقليات، حيثما وجد، لا يمكن فصله عن إزالة الظلم والاحتلال والتخلف الواقع على كاهل الغالبية، ولا تحرر للأقليات في المجتمعات المسحوقة، فعليها أن تعمل مع الأغلبية من أجل القضية المشتركة إن أرادت أن تنال حقوقها فعلاً.

(4) إن أية حركة أو خطوة سياسية ممن يزعمون تمثيل الأقليات تفقد مشروعيتها فوراً، ولو كانت مشروعة نظرياً، إن كانت تخدم قوى الهيمنة الخارجية أو الإمبريالية العالمية، ومن الطبيعي أن تعامل كأبي عمل عدواني.

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



(5) إن حركات التغيير في بلادنا عليها أن تفكر جيداً بكيفية حل قضايا الأقليات حلولاً عادلة تتفق مع مشروع الوحدة والتحرير والنهضة لأنها جزء من الأمة وقضيتها الواحدة، ولكي لا يجد الطابور الخامس سبيلاً إليها.

بشأن موضوع الأقليات ومشاريع الفيدرالية، جاء في ذلك الفصل أيضاً:

ماذا يعني طرح مسألة حقوق الأقليات المشروعة مبدئياً بهذه الطريقة المؤدية دوماً للتفكيك؟ وما هي النتائج العملية لها من منظور الجغرافيا السياسية ومنظور الهوية الجامعة العربية-الإسلامية؟

مثلاً، الصحراء الغربية جزء من الغالبية العربية الإسلامية، وهي لا تختلف حضارياً عن باقي المغرب والأمة العربية، وسكانها قليلو العدد خصوصاً بالقياس إلى مساحتها، فأى سيادة وأي استقلال سيكون لها؟ ومن ستتبع بالضرورة؟ فلو تأسست سابقة



استقلالها عن المغرب، ما الذي سيمنع جعل ذلك مقدمة لتفكيك المغرب العربي برمته من خلال طرح مشروع استقلال الأمازيغ المعروفين أيضاً باسم البربر؟ وهو ما يجب أن تفكر فيه الجزائر ملياً بالمناسبة... فالعدو الصهيوني بالتحديد سبق وطرح موضوع استقلال الأمازيغ في أكثر من وثيقة، مثل وثيقة كيغونيم عام 1982، والطرف الأمريكي-الصهيوني يتبنى رسمياً مشروع التفكيك في المحافل الدولية والإقليمية تحت عنوان حقوق الأقليات.

نحن لا نتعامل على حقوق الأقليات مبدئياً إذن، ولا نعارضها سياسياً ضمن سياق آخر مناهض لأعداء الأمة يصون حقوق الأمة والأقليات (ولو أن التعبير نفسه بات يحتاج لمراجعة...). فالمطروح اليوم ليس حقوق أقليات، بل مشروع يحمل بعدين: (1) بعد جغرافي سياسي يتعلق بحاجة الطرف الأمريكي-الصهيوني لتحديث اتفاقية سايكس-بيكو، أي تفكيك البلدان العربية من جديد، و(2) بعد ثقافي يتعلق بإعادة تعريف هوية المنطقة بعيداً عن لونها الأساسي العربي-الإسلامي. والبعدان معاً يشكلان فحوى "الشرق أوسطية" أو مشروع "الشرق الأوسط الكبير".

النموذج العراقي للتفكيك يلخص البعدين في آن معاً. فدستور العراق الجديد، كما يسمونه، يشطب رسمياً عروبة العراق في الوقت الذي يتبنى حق الأقليات بتكوين "أقاليم حكم ذاتي" خاصة بها. وهذا، من جهة، يفكك العراق كدولة إقليمية مركزية، ومن جهة أخرى، يمحو الهوية العربية للعراق. وهو من جهة ثالثة ذو أبعادٍ تفتيتية تتجاوز العراق، من سورية إلى الجزيرة العربية، تماماً كما يطرح تفكيك السودان تفكيك مصر..

وليست المعادلات الفيدرالية المطروحة في العراق أو السودان معادلات مستقرة على المدى البعيد في أحسن الأحوال. فمتى بات الحكم، أي حكم، قائماً على مبدأ المحاصصة الطائفية أو العرقية أو المناطقية، يصبح التوازن السياسي للدولة مشروطاً بتجمد الأوزان النسبية كما كانت بالضبط لحظة توقيع اتفاق المحاصصة. فإذا ازداد التعداد السكاني لهذه الطائفة أو ضعف

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025

الوزن الاقتصادي لتلك المنطقة أو كثرت تلك العرقية في الجيش والأمن، بدأ التطاحن من جديد وصولاً للحرب الأهلية، ولنا في التركيبة الطائفية في لبنان أكبر مثال على هذا القول.

بشأن موضوع الدولة المركزية، جاء في ذلك الفصل:

إن الموقف المعادي بالمطلق، ومن حيث المبدأ، للدولة المركزية يخلط ما بين مفهوم الدولة المركزية بشكل عام من جهة، ودولة التجزئة العربية الملموسة من جهة أخرى. فدولة التجزئة العربية تمثل شكلاً من أشكال مشروع التفكيك، وهي بصفقتها تلك تمثل تغليباً للنزعة اللامركزية على دولة الوحدة، ولا تمثل دولاً مركزية.

كما أن هذا الموقف يخلط ما بين الدولة المركزية المعبرة عن مصلحة الأمة من جهة، والدولة الطائفية غير المعبرة عن مصلحة الأمة والمرتبطة بقوى الهيمنة الخارجية. فهو موقف مفخخ يعارض الأولى بذريعة الثانية. وشتان ما بين الاثنين!

وهو موقف يخلط ما بين الدفاع عن حقوق المواطن العربي، التي تتجاوز عليها الدولة القطرية بلا حساب، وما بين مشروع تفكيك الأقطار العربية إلى أقاليم وطوائف وعشائر الخ... وهنا تكمن الخطورة السياسية السامة لهذا الطرح.

من ناحية أخرى، يثبت تاريخ الوطن العربي أن تاريخ المناطق والعشائر والطوائف هو تاريخ التخلف، بينما كانت تقوم النهضة العربية دوماً على أكتاف الدولة المركزية والحكم المركزي المعبر عن مصلحة الأمة. فإما الأمة الموحدة في ظل دولة مركزية قوية، سواء كانت دولة نبوخذ نصر أو دولة الخلافة التي يحكمها العرب، أو الفقر والضعف والتأخر في ظل الخراب المحلي.

وقد كانت هزيمة الدولة المركزية أمام قوى الهيمنة الخارجية، وتفككها، دوماً مقدمة لهيمنة الخاص على العام، العشيرة على الوطن، الطائفة على الانتماء، والجهة أو المحلة على الأمة، مما أدى تاريخياً لشيوخ ثلاث ظواهر متلازمة بالضرورة تغذي كل منها الأخرى منذ الأزل العربي هي: (1) التجزئة، (2) الاحتلال الأجنبي المباشر أو غير المباشر (التبعية)، (3) والتخلف.

في المقابل، كان المشروع الوحدوي، وأهم مثال عليه في تاريخنا هو الدعوة النبوية، هو نفسه مشروع التخلص من الهيمنة الأجنبية، وهو نفسه مشروع بناء الدولة المركزية، الوحيدة القادرة أن تؤمن إطاراً من الاستقرار الداخلي والخارجي، ومن عناصر القوة، لتحقيق تنمية اقتصادية وقفزات حضارية حقيقية...

وما برح هذا القانون يحكم الحياة العربية المعاصرة، إذ أن المشروع النهضوي العربي لا يمكن أن يتحقق بدون دولة مركزية قوية توفر له عناصر القوة وتحميه، دولة قوية قادرة أن تعبر عن مصلحة العام على حساب الخاص. فالأمة العربية الممتدة عبر الصحارى الشاسعة، والمكتشوفة على أطول شواطئ في العالم، بالمطلق وبالنسبة لمساحتها البرية، والمتناثرة مراكزها الحضارية عبر عدة مناطق زمنية، والواقعة في عقدة طرق التجارة العالمية البرية والبحرية والجوية، والمستهدفة منذ هنيئيل وزنوبيا، لا يمكن أن تنهض بدون دولة مركزية قوية.

ولا حقوق للمواطنين في الأمم الضعيفة المستعبدة، ولا تحرر للفرد أو للأقليات حيث يزرع الوطن برمته في ظل الاحتلال والهيمنة والتشردم والفقر والتخلف، ولا ازدهار للمناطق القصية في المراكز التي يكون ولاؤها لذاتها فقط، بعيداً عن مصلحة الأمة.

فالدولة المركزية القوية المستقرة المزدهرة هي الإطار الوحيد الذي يمكن أن يتربع في ظله الحكم المحلي والفرد الحر. أما العصبية الجاهلية، الطائفية والعشائرية والإثنية، فهي النقيض الموضوعي لجوهر رسالة الإسلام وللمشروع النهضوي العربي

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



في آن معاً، وهي لا تمثل دفاعاً عن المواطن في وجه طغيان الدولة "الحديثة"، بل تمثل إعادة إنتاج، بلبوس معارض للحادثة الاستعمارية ولأنظمة التجزئة العربية، لمشروع التفكير، مشروع القوى المعادية للأمة. فهو فكر معارض للحادثة فعلاً، ولكنه بهذا المعنى ليس معارضاً للاستعمار، لأنه يكرس خط ما بعد الحادثة القائم على تفكيك المعنى الواحد و"الروايات الكبرى"، ومنه "رواية" الأمة الواحدة.

إضافات في سنة 2025:

أ - إن بعض ما يسمى أقليات في الوطن العربي يمثل تنوعاً ضمن العروبة ذاتها، ومنهم الآراميون والآشوريون والأقباط والأمازيغ. وإن محاولة اختلاق تاريخ منفصل عن العروبة القديمة لتلك الأقوام يمثل نوعاً من الانفصال الهوياتي الذي يمهد للانفصال الجغرافي. ولعل من أهم مسؤوليات الحركة القومية العربية المعاصرة إظهار الصلات العضوية بين تلك الأقوام والعروبة القديمة لهجة وثقافة وتاريخاً وهوية.

ب - إن الجاليات غير العربية في الوطن العربي، مثل الأرمن والشركس والتركمان والأكراد، أو الزوج في موريتانيا مثلاً، لها أن تطالب بحقوق قومية في المناطق التي انحدرت منها، لا في الوطن العربي، ولها أن تطالب بحقوق المواطنة المتساوية في المواضع التي تندمج فيها بالشعب العربي سلمياً، أي أن لا يقع أي تمييز ضدها بناءً على خلفيتها، لكنها لا تملك حق الانفصال في الأرض العربية بأي حال من الأحوال.

ج - إن مناهضة شكل الحكم أو ممارساته أو عقيدته في أي قطر عربي لا يمثل ذريعة للانفصال. فلا يجوز لأحدهم أن ينادي بالانفصال عن نظام ملكي لأنه يفضل النظام الجمهوري مثلاً، أو عن نظام إسلامي لأنه علماني، أو عن نظام رأسمالي لأنه اشتراكي، أو بالعكس. ومن لديه مشروع مناهض لنظامه يفترض به أن يتوجه به إلى الشعب كله، لا أن يطرح مشروعاً انفصالياً. وبناءً عليه، الأساس في الموقف القومي هو رفض كل مشروع انفصالي، من الصحراء المغربية إلى جنوبي اليمن إلى سورية اليوم، إلى السودان طبعاً.

د - تقاس مشاريع الفيدرالية والكونفدرالية وما يعادلها بأثرها المادي على الأرض: فإذا وُحِّدَت مفككاً، فإنها ذات أثر وحدوي، وبالتالي تستحق الدعم، وإن فككت موحداً، فإنها ذات أثر تفكيكي، وبالتالي لا يمكن ولا يجوز لقومي عربي أن يدعمها. ومن هنا نقف ضد مشاريع الفيدرالية في اليمن أو سورية أو ليبيا أو غيرها. ومن البديهي أن ندعم أي خطوة تقارب بين قطرين عربيين أو أكثر. لكن النهضة العربية الحقيقية لا تقوم إلا بدولة عربية مركزية قوية اندماجية (كما جاء أعلاه). وليس ما يسمى فيدرالية في الولايات المتحدة أو روسيا مثلاً إلا دولٌ مركزية قوية في الحقيقة تمارس نوعاً من اللامركزية الإدارية.

هـ - إن النزعات الطائفية، وخصوصاً التكفيرية، في صفوف الغالبية العربية السنية ثبت باللمس أنها مدعومة من الطرف الأمريكي-الصهيوني، وأنها موجهة كأداة ضد الحس الوطني والقومي الذي انتشر في صفوف العرب السنة قبل أن تكون موجهة ضد العرب الشيعة أو العرب المسيحيين (أو العرب اللادينيين) الذين لا يصح منطقياً وصفهم بأنهم "أقليات" لأنهم جزء لا يتجزأ من الأمة العربية كمواطنين أفراد. وفي جميع الأحوال، يفترض بالجميع أن يناضل ضد هذا التيار المخترق والمشبه، لا أن يتخذ ذريعة للانفصال.

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025

و - إن نقطة الضعف الجوهرية في المنطق الطائفي والعشائري والإثني أنه يبني جدراناً عاليةً بين أبناء الوطن الواحد، جدران يصبح كل ما هو خارجها خطر، وكل ما هو داخلها أمان، الأمر الذي يؤسس للشك والعداوة والفتن والتجاوزات وسفك الدماء وانتهاك الآخرين خارجها. والمطلوب هو نخب وقيادات تفكر بمنطق وطني وقومي عابر لتلك الجدران، وتطرح برامج ومواقف غير محكومة بالاعتبارات المقرّمة للطوائف والمناطق والإثنيات.

ز - ثمة حاجة حقيقية في التيار القومي العربي بكل تلاوينه إلى بناء مقاربة متماسكة للإسلام وتاريخه وصلته بالعروبة، بعيداً عن الخلافات مع تيارات الإسلام السياسي، وأن تنطلق تلك المقاربة من التركيز على العناصر العروبية والمتنورة والعقلانية في الإسلام التي سبقت سيطرة السلاجقة على الخلافة في بغداد وبدء مسار الانحطاط.

ح - ثمة حاجة حقيقية أيضاً لإعادة النظر في مفهوم العلمانية، ومدى ملاءمته لظروف وطننا العربي. والرجاء الاطلاع في ذلك السياق على مادة "الظاهرة الطائفية العربية: هل العلمانية نقيضها المباشر حقاً؟" في طلقة تنوير 40:

<https://www.freearabvoice.org/?p=4886>



الحذاء الأمريكي: من ملء الفراغ إلى سد الثغرات

أسماء عواد



"ثمة حاجة ملحة إلى تعويض أي نقص قوة في المنطقة، ليس بقوة خارجية أو أجنبية، بل بزيادة قوة وأمن الدول المستقلة في المنطقة".

الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور

5 كانون الثاني 1957

بلا أدنى شك، تعتبر الكلمات السابقة لأيزنهاور -التي خاطب بها الكونغرس في رسالة خاصة بعد تداعيات تأميم قناة السويس، والتقارب العربي-السوفييتي- تلخيصاً مكثفاً وإعلان نوايا أمريكية لا يتناول النظرة إلى الوطن العربي وحده، إنما إلى كامل بقاع التركة العثمانية، التي فشلت القوى الوطنية والقومية في كل منها باستيعاب سقوطها، بل كان الانفتاح المباشر على القوى المنتصرة في الحربين العالميتين (سواءً كان بساذجة أو تواطؤ) مدخلاً للاستعمار. لذلك، شهدنا حالة من العرج السياسي والاقتصادي وصل لحد الوصاية؛ وإن كانت الحرب العالمية الثانية قد حسمت اللاعبين الأساسيين في الخطوط العريضة وتوزيع النفوذ، وزرعت بنجاح الكيان الصهيوني ورعت "استقلاله"، إلا أن واشنطن كانت تعرف الإجهاد الذي تعاني منه أوروبا والنجم السوفييتي الصاعد والانجذاب الشعبي للأفكار الشيوعية، لذلك بالضبط تحركت.

علينا في هذه الأيام الحالية أن نفهم طبيعة التواجد الأمريكي في منطقتنا، فعلياً، لم تكن واشنطن غائبة وإن كانت تبدو بعيدة، وبالنظر عن قرب نجد أنها اختارت بالذات "سورية الطبيعية" كموطئ قدم، ودخلت في القرن الـ 19 تحت عباءة التبشير لاستكشافنا عبر بعثات التبشير المسيحية الإنجيلية المعادية للأرثوذكسية المشرقية والراعية للمسيحية الصهيونية، وأسست

الجمعية التبشيرية الأمريكية. وللمفارقة تحولت إحدى مدارس الجمعية لاحقاً إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، التي كانت معقلاً لرموز الفكر والتنوير القومي والوطني العربي، كما سجلت الحركة الطلابية فيها محطات لافتة في معاداة الاستعمار الفرنسي والبريطاني، أكثر من ذلك، تخرج العديد من رموز الكفاح ضد الهيمنة والاستعمار والاحتلال منها، وكانت المظاهرات الطلابية أداة قياس لتحليل ردود الفعل المقاوم لمشاريع النفوذ الغربية، الأمر الذي دخل كمعطيات إضافية رسم السياسات الأمريكية.

تنامي تدريجياً الدور الأمريكي العالمي، وكانت تكلفته باهظة، لا سيما مع تعزيز حائط الصد الأوروبي أمام الشيوعية، فقد أنفقت واشنطن التريلونات، بدون مبالغة، على حلف الناتو منذ تأسيسه عام 1949، وأكثر من 13 مليار دولار خلال 4 سنوات كنفقات مشروع مارشال (1948-1952) لإعادة إنعاش أوروبا بعد الحرب، وحظيت بريطانيا على أكثر من ربع المبلغ حينها، وكانت حصة فرنسا 17% منه. بعد كل هذه الفواتير المكلفة، ومع تراجع سطوة هاتين الدولتين أمام المد القومي العربي منتصف الخمسينات، والتجروء على مصالحهما كما فعل عبد الناصر بالتأميم، مع مغازلة السوفييت للقااهرة ودمشق، لم تحتل واشنطن اللعب البعيد ونزلت للساحة تحت شعار ملء الفراغ، ما اصطلح عليه لاحقاً بنظرية الفراغ.

بنظرة مقربة، عندما جاءت إدارة أيزنهاور الجمهوري، كانت أمام استحقاق التصدي للسوفييت بأي ثمن، وعليها أن تثبت نفسها مقابل ولاية ترومان الديمقراطي، الذي شهدت ولايته إنجازات لا يمكن مجاراتها بسهولة كضرب القنبلة الذرية على اليابان، وإطلاق سياسة الاحتواء للشيوعية من خلال مشروع مارشال وتأسيس حلف الناتو. كل ذلك كان استحقاقاً صعباً مع تنامي حركات التحرر في أمريكا الجنوبية، والمد القومي العربي، وحتى الحرب الكورية وتمدد النفوذ الشيوعي في آسيا، وبدا أن أوروبا حليفة واشنطن لم تعد في كامل أبتها، لذلك انصبت الدعاية الأمريكية على استخدام تداعيات سقوط الإمبراطورية العثمانية وتراجع قوة بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص، في تعزيز أفكار على شاكلة أن ما حدث فراغ مؤقت يجب ملؤه قبل أن تستغله الشيوعية، باستبعاد أن الأمر حدث بنيوي وتحول عميق قلب البنية الأساسية للمجتمع "العثماني" على اختلافه.

لاقت هذه الأفكار رواجاً في المنطقة العربية بين صفوف بقايا الإقطاع، والبرجوازية والليبرالية ونخبة سياسية تراجع نفوذها مع تصاعد المد القومي والأفكار الاشتراكية، بل أن هناك أحزاباً تماهت مع هذه الطروحات وأرادت للوصاية الأمريكية النجاح، مثل حكومة نوري السعيد في العراق وكميل شمعون في لبنان.

إذن كان ملء الفراغ "الأيزنهاوري" إطاراً استراتيجياً ذا أبعاد أمنية، وليس مجرد رد مؤقت على حرب السويس، كما يطيب لبعض المشككين اعتباره، إضافة لذلك كان الأمر محاولة لعزل مصر وسورية على وجه التحديد، العاصمتين المؤهلتين لحمل المشروع القومي العربي المتحرر بعيداً عن أوروبا والولايات المتحدة، ولم يكن الأمر أوهاماً من نسيج المخابرات المصرية والسورية. ففي أحد خطابات عبد الناصر يتحدث الرئيس عن إنكار واشنطن دعمها لحلف إسلامي عام 1957، وأشار "الخالد" لمذكرات أيزنهاور بعد انتهاء ولايته عن العام ذاته، والتي ذكر فيها أن واشنطن أرادت احتلال سورية وتواصلت مع الأتراك لذلك، لكنهم فضلوا أن تقوم بغداد بالمهمة، وعلى إثرها أرسل الجيش المصري قواته المظلية، ووقف مع الجيش السوري، إلا أن الولايات المتحدة تراجعت عن الخطة، ويعلق عبد الناصر أنه لم يكن يصدق أن تغزو تركيا أو بغداد سورية! من الواضح أن الخطة الأمريكية لم تلغ بل أعيد إصدارها بنسخة محدثة بعدها بعقود.

في لقطة لافتة ومثيرة للشجون تحاكي فترة نظرية "ملء الفراغ"، ظهرت في المشهد الختامي من الحلقة الأخيرة في المسلسل السوري "خان الحرير" بجزئه الثاني (1998)، مظاهرتان انطلقتا بعد إعلان عبد الناصر فك الوحدة بين مصر وسورية، حاكي المشهد شوارع حلب (المدينة الصناعية الناجزة ومركز الاقتصاد والتجارة ورؤوس الأموال) ورد فعل الناس على الخبر، فكانت المظاهرة الأولى تحمل علم ما نعرفه الآن بعلم "الثورة السورية" الباهت بنجومه الثلاث، يرفعه من أيد الانفصال بدعم من البرجوازيين وبقايا الإقطاع والليبراليين وكبار التجار. أما المظاهرة الثانية فكانت تحمل علم الجمهورية العربية السورية الذي عرفناه لمدة 67 عاماً بنجمتيه الخضراوتين، يحمله القوميون والوطنيون والشيوعيون والضباط المسرحون من الجيش والطلبة والمعلمون، وينتهي المشهد بالواجهة بين المظاهرتين.

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



كان توقيت عرض العمل مهم وحواراته السياسية وصراعات المصالح الطبقية تحاكي ما رأيناه في فترة "الربيع العربي"، وكان المسلسل ضمن مجموعة أعمال تزامنت مع بداية موجة التطبيع التسعينية، وقبل احتلال العراق وتفكيك الجيوش النظامية الوازنة، ومع تنامي تيارات المقاومة، ويكاد المرء يفقهه من الضحك حد النحيب وهو يرى أبطال المسلسل يؤدون حوارات تؤيد الوحدة وعبد الناصر، وتهاجم التدخل الأجنبي ومراكز النفوذ الغربية وحتى نظرية ملء الفراغ بذكرها صراحة، بل كانوا يحذرون من "إسرائيل" والتقارب مع الغرب الذي يصب حصاراً في مصلحتها، في حين أن ذات الممثلين وقفوا ضد أدوارهم على أرض الواقع حين حركت القوى العالمية أصابع الحرب على سورية قبل عقد ونصف!

منذ سقوط الاتحاد السوفييتي رسمياً، لم تتوقف مقاربة "ملء الفراغ"، بل ازدادت تجذراً في السياسات الأمريكية، فقد أعادت واشنطن إنتاج رؤية أيزنهاور، ولكن بصيغة جديدة تحت عنوان "الشرق الأوسط الجديد"، تقوم على سد الثغرات الأمنية والاقتصادية، وقمع أي مشروع إقليمي ناشئ، حتى لو كان نتيجة طبيعية للتطورات الجغرافية والسياسية. في هذا السياق، كان من الواضح دعم التوسع "الإسرائيلي"، ولو على حساب أراضٍ تابعة لحلفاء واشنطن، بينما أغلق الأفق العربي أمام أي تحالفات خارج نطاق "الحظيرة الخلفية" للبيت الأبيض.

ولم تكف الولايات المتحدة بإعادة إنتاج هيمنتها، بل مارستها بوسائل أكثر توحشاً، سواء عبر القوة العسكرية أو الاقتصادية، حتى وصل الأمر إلى تهريب الحلفاء أنفسهم ولعل المشهد الذي جمع قادة أوروبا أمام الرئيس ترامب، بعد أيام من لقائه نظيره الروسي بوتين في آب 2025، يعكس بوضوح منطق العجرفة وسحق الضعفاء، ففي خلفية المشهد بدا القلق الأوروبي جلياً من قرار ترامب فرض "خوات" على الاتحاد الأوروبي مقابل الحماية الأمريكية ومساهمة واشنطن في حلف الناتو، هذا الحلف، الذي بات "عليلاً" في نظر كثيرين، يحاول اليوم تدارك تراجع، ليس فقط بسبب الموقف الأمريكي المتقلب، بل أيضاً نتيجة تملل الحلفاء القابعين في جنوب أوروبا، وعلى رأسهم دول الخليج، من ضعف أداء الناتو في الملفات الأمنية الحساسة والارتفاع لمستوى أوثق من العلاقات الثنائية، وكفي الاطلاع على مداخلات المشاركين في مؤتمر رفيع المستوى نظمته مؤسسة كلية دفاع حلف الناتو في إيطاليا، في تشرين الأول 2024، تحت عنوان "الجغرافيا السياسية العربية 2024: تعزيز الشراكات الجنوبية لحلف الناتو"، لنقرأ خيبة الأمل من عدم الارتفاع بالتعاون على مستوى الحلف، مقارنة بالدعم المباشر الذي تقدمه الولايات المتحدة خارج إطاره الرسمي.

رغم أن الحذاء الأمريكي يجول بحرية في المنطقة، ناشراً قواعده العسكرية ومحدداً إيقاع التحالفات وفق مصالحه، يبقى السؤال الأهم: هل سُدَّت كل الثغرات أمام أعدائه؟ أم أن منطق التاريخ يحتم ظهور "الغيم مقاومة" جديد، يتفجر حين تكتمل شروطه الموضوعية؟ إن الصيرورة التاريخية لا تعرف السكون، فكل مشروع هيمنة، مهما بدا متماسكاً، يحمل في داخله بذور مقاومته، وكلما اشتدت القبضة، ازداد التملل، وكلما توسعت السيطرة، ظهرت شقوق في جدارها.

في هذا السياق، لا يمكن قراءة الواقع الإقليمي بمعزل عن جدلية المركز والهامش، أو عن نظريات ما بعد الاستعمار التي ترى أن الهيمنة ليست نهاية التاريخ، بل مرحلة في مسار طويل من التفاعل والفرض، حتى إعادة التشكل، فالمقاومة ليست دائماً بندقية، بل قد تكون فكرة، أو تشبهاً بسردية، أو حتى تحالفاً غير متوقع يعيد رسم خرائط النفوذ. وهكذا، فإن السؤال لا يتعلق فقط بما إذا كانت واشنطن قد أغلقت كل الثغرات، بل بما إذا كانت قادرة على مواجهة ما تفرزه تلك الثغرات من ردود فعل تاريخية، تتجاوز الحسابات العسكرية إلى عمق الوعي الشعبي والسياسي في المنطقة.

كنعان وفلسطين: الأرض هي الأرض

أهل غزة وجنوبي الساحل الفلسطيني أصولهم من شمالي سورية (لا من كريت)

فارس سعادة



(تزعّم الأدبيات التاريخية أن اسم فلسطين جاء مع قبائل الفلسطو من كريت في البحر المتوسط، التي حلت جنوبي الساحل الكنعاني في غزة وجوارها، والتي أحلت اسمها محل أرض كنعان التي كانت تُعرف به فلسطين قبلها. وتمثل هذه المادة النوعية من الباحث فارس سعادة رداً على تلك المزاعم)

نستطيع القول بكل تأكيد أن فلسطين هي جزء من كنعان، لا العكس، أي أن كنعان هي الجغرافيا الشاملة لكل جنوب بلاد الشام ولبنان وصولاً إلى سواحل أوغاريت وسورية الداخلية خلال فترات البرونز وتاريخياً، بحسب الوثائق والنقوش المصرية



والأكادية "Canaano-Akkadian language". وبحسب رسائل تل العمارنة بداية الفترة البرونزية المتأخرة، أي القرن الخامس والرابع عشر قبل الميلاد، فإن كنعان تمثل كل جنوب بلاد الشام ولبنان وأوغاريت.

جاء أول ذكر لكلمة كنعان في نصوص مدينة ماري الفراتية في سورية الحالية، وقد جاء على الصيغة الأكادية Kinahhu والتي تكررت لاحقاً بعد حوالي 500 عام في رسائل تل العمارنة وفي النصوص المصرية القديمة خلال فترة حكم الملك تحتمس الثالث.

نص نموذجي من رسائل ماري

في إحدى رسائل الأرشيف (ARM II 37)، يكتب مسؤول من ماري إلى الملك زمري-ليم:

الأكادية:

a-na be-li-ia qí-bi-ma, iš-tu māt Kinahhi ša qurbat amurrim...

الترجمة:

"إلى سيدي الملك، من أرض Kinahhu القريبة من بلاد الأموريين..."

• يشير النص هنا إلى أن "كيناخو" منطقة متاخمة للأموريين، ما يعني أنها كانت جغرافياً في بلاد الشام الجنوبية.

أما الذكر الآخر في أكثر من نقش ومناسبة فكان من قبل الملك إدريمي ملك الألاخ شمالي سورية المحتل من الترك حالياً. ويعود للفترة الممتدة بين القرنين الخامس والرابع عشر قبل الميلاد، وهو أقدم قليلاً من رسائل تل العمارنة، ويسمى النقش بنقش إدريمي "تمثال الملك إدريمي"، ويذكر أنه ذهب إلى أرض كنعان، وهذا النقش متاح عبر قواعد البيانات التابعة للمتحف البريطاني.

أما في النصوص المصرية، فقد تم ذكر المنطقة باسم آخر هو ريتنو. وبحسب قوائم طوبوغرافية المكان التي وصفتها النقوش المصرية، فإن ريتنو هي كنعان التي تشمل جنوب سورية وأغلب سواحل شرق المتوسط، وهي نقوش قديمة تعود للدولة المصرية الوسطى خلال القرن التاسع والثامن عشر قبل الميلاد.

واستمر ذكر الاسم ريتنو إلى فترة حكم الملك تحتمس الثالث، في كثير من النقوش التي شملت قوائم المدن ومسار الحملات العسكرية، كما عثر على معجم مصري يذكر أسماء عدة مدن كنعانية تحت مسمى إقليم ريتنو، وهي مدن معروفة أنها مدن كنعانية، بالتالي الاسم ريتنو معادل لاسم كنعان.

أما عن أول ذكر واضح لكنعان في النصوص المصرية فقد جاء في رسائل تل العمارنة، والتي كانت باللغة الأكادية-الكنعانية، خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وقد جاء اسم كنعان بصيغة Kinahni أو Kinahhu، ويشير إلى مدن تقع في كل من فلسطين ولبنان وسورية والأردن حالياً، مما يؤكد أن مصطلح كنعان كان يشمل أغلب مناطق جنوب سورية وسواحل شرق المتوسط. ومن هذه الرسائل التي ذكرت كنعان هي: (EA 8, 30, 109, 110, 131, 137 ...) يمكن العثور عليها عبر المواقع العلمية بسهولة.

أما عن مناطق شمال سورية في أوغاريت فقد عثر على الاسم في النصوص الإدارية والرسائل والنسخ التي أشارت إلى

العمال والأفراد القادمين من كنعان، وهذا دليل واضح على وعي شمالي وجنوبي بالمصطلح واعتماده تاريخياً للإشارة إلى المكان والسكان على ما يبدو، وأهم المخطوطات الأوغاريتية التي ذكرت كنعان بصيغة Kn`n/Kncn هي: (مثال RS : 20.182 و KTU 4.96 ونسخ أخرى).

أما عن النقوش الأبعد جغرافياً في تركيا الحثية مثلاً، ففي مراسلات حاتوسا "المكتبة الحثية" خلال الألف الثاني قبل الميلاد إلى أواخره، فهناك إشارات مختلفة يمكن العثور عليها في (مراجع مثل KBo و KUB) وهي إشارات لا تزال تُؤوّل إلى يومنا هذا.

مصادر حرفية إضافية / مراسلات محلية (Alalakh، Nuzi)

1. نقوش الألاخ (Alalakh / Tell Atchana) وعدد من نصوص القلعة (AT series)

○ الفترة: القرنين الـ 16-12 ق.م. (مراحل متعددة في الألاخ)

○ وصف: مجموعة نصوص إدارية/قانونية/قوائم ذكرت «Canaan» صراحة أو أشارت إليه كأرض/مصدر أشخاص؛ AT 181، AT 188، AT 48 وذكور في نصوص أخرى. انظر دراسات (Alalakh/Idrimi).

[OraccWikipedia](https://Oracc.Wikipedia)

2. نصوص نوزي / حورية — (Nuzi، Hurrian tablets) كلمة kinaḫḫu

○ الفترة: الألف الثاني ق.م.

○ وصف: في النصوص الحورية تُسجّل صيغ قريبة تُفسّر أحياناً على أنها مرتبطة بكلمة «كنعان» أو بمشتقاتها اللغوية (خاصة في سياق تجارة الأصباغ / اللون الأرجواني). التفسير اللساني محل نقاش (هل الكلمة اسم مكان أم اسم منتج/صبغة).

تؤكد هذه الآثار المادية الكتابية على محلية الاسم كنعان وارتباطه بالجغرافيا وبطرق حياة الناس في منطقة معينة "الأصباغ الأرجواني"، وهنا يتقاطع ارتباط الاسم بالمكان والإنسان في نفس الوقت بشكل مستمر وممتد وباعتراف الجميع جنوباً في مصر وشمالاً في سورية والأناضول وغرباً في بحر إيجه واليونان. وعلى ما يبدو أن المؤرخين العرب والمسلمين الأوائل لم يحصلوا على وثائق تساعد في هذا فكان استخدامهم لكلمة كنعان مرتبطاً بالتوراة وبالتالي لم يشر كثير منهم إلى ارتباط كنعان بمكان أوسع بكثير من فلسطين الحالية مثلاً، وبالتالي الكنعانيون كانوا أهل مناطق الساحل وجنوب سورية في أقل تقدير، وأخوتهم العموريون كانوا أهل سورية الداخلية وصولاً إلى أقصى الشمال السوري تاريخياً.

فلسطين التي نعرف، أو كما تسمى دائماً فلسطين التاريخية، لم تكن فلسطين الحالية التي تمتد من جبال الجليل وصولاً إلى صحراء النقب. فبحسب التسميات التاريخية للمكان، أي فلسطين، فهناك عدة ملاحظات يجب توضيحها قبل الدخول في جغرافيا الاسم.



من الناحية اللغوية وجذور الاسم بحسب النقوش واللغات القديمة بعيداً عن الرواية التوراتية، فالشكل اللغوي واللفظ الأول لفلسطين جاء بصيغ مختلفة وأشكال مختلفة، وهي:

أقدم الصيغ المعروفة في النصوص المصرية هي **Peleset ('p³-l-s-t')**، ويظهر هذا في نقوش رمسيس الثالث في معبد مدينة هابو حوالي 1175 قبل الميلاد وذلك ضمن ما سمي لاحقاً بشعوب البحر. أما في النصوص الآشورية/الأكدية فيظهر المصطلح بصيغ: **Pilistu / Palashtu / Palastu**. لاحقاً، في شمال سورية وجنوب تركيا حالياً عثر على نقوش في تل طعينات وفي معبد قلعة حلب ظهر بصيغة **Palistin** كاسم لمجموعة سياسية أو إقليم موجود وظهر اسم ملك لهم أيضاً!

نذهب إلى الجذر اللغوي فهو مرتبط غالباً بجذر **P-L-S / P-L-S-T** وهو جذر سامي/شمال غربي يستخدم للإشارة إلى شعب أو منطقة. أما في اللغة المصرية القديمة، فإن **Peleset** كان لفظاً تحويلاً من أصل غير مصري غالباً سامي للدلالة على مجموعة ساحلية هجومية ومستوطنين تابعين لشعوب البحر.

إحدى الدراسات التي تشير إلى مسمى فلسطين كمكان وشعب تعود للعالم **Timothy Harrison** من جامعة شيكاغو، وهو من أهم علماء الآثار المعاصرين. وبحسب حفريات الطويلة في تل طعينات جنوبي تركيا وتل العطشانة أو الألاخ التاريخية وحفريات في قلعة حلب عند معبد الآلهة حدد عثر على مسلة كاملة في حلب تشير إلى ملك البلست.

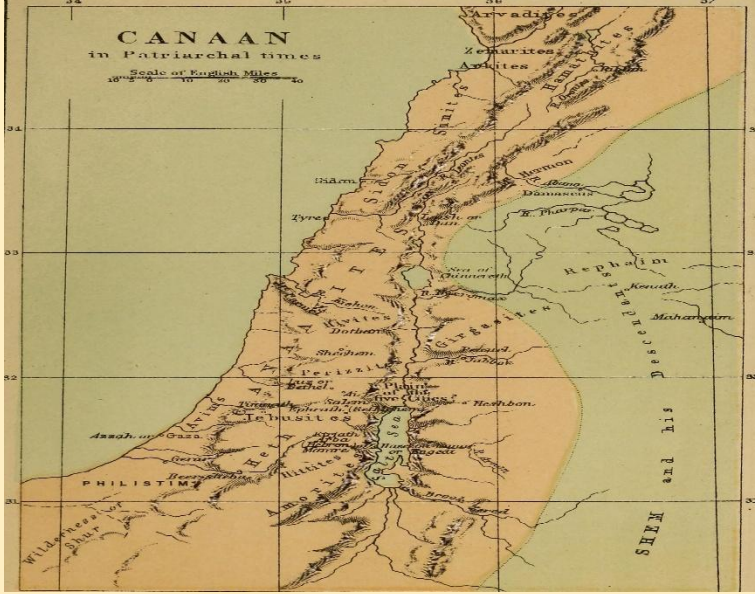
يشير الباحث إلى أن هذه المنطقة أي جنوب تركيا (شمال سورية)، والتي تسمى سهل العمق كان اسمها التاريخي **palistin** وقد تم هجرانها بعد انهيار الدول والحضارات في أواخر العصر البرونزي المتأخر ومن بين أهم الشعوب التي سكنتها شعب البلست أو الفلس، والذي هاجر إلى سواحل جنوب فلسطين الحالية أي مدن غزة وعسقلان.

وقد ذكرنا هذا الرأي لعدة أسباب أهمها هو عدم وجود أدلة واضحة تشير إلى أن البلست/الفلس قد قدموا من البلاد الأجنبية. فالمادة الأثرية لا تشير إلى اختلاف جذري إن كان بالفخار أو الممارسات الدينية الموثقة أو أسماء الأعلام، أو حتى أسماء الآلهة. فهم عبدوا الآلهة دجن وحدد بشكل مكثف مما يشير إلى أنهم أناس محليون.

عودةً على الأصول اللغوية للاسم فلسطين، فهو يشير جغرافياً إلى سواحل جنوب فلسطين الحالية، وبشراً يشير إلى جماعة سكانية منظمة تعود أصولها في أحدث الدراسات إلى مناطق أقصى الشمال السوري المحتلة حالياً من قبل تركيا، وقد ارتبط اسمهم بالجغرافيا التي سكنوها جوار سيناء على الساحل، أي كما قلنا غزة وما جاورها من مدن ساحلية. وبكل تأكيد لاحقاً، فيما بعد الألفية الأولى قبل الميلاد، امتد وجودهم على السواحل المجاورة شمالاً. ولكن المهم هنا أن التراث المادي الثقافي الذي تركه هؤلاء هو نفسه التراث المادي للكنعانيين. وفي الحقيقة إن ارتباط الاسم بالمكان ومن ثم تعميمه على كل الساحل الفلسطيني الحالي جاء كتخصيص لهذا الساحل كجزء من كل أوسع وهو بلاد الشام أو كنعان.

ولكن، لماذا اختفى اسم كنعان لصالح فلسطين؟

يصعب الجواب على هذا السؤال بشكل مادي صرف (أي بدلائل أثرية) نتيجة عدم وجود مؤشرات لأسباب الاختفاء، ولكن من الواضح أن الاسم كنعان والاسم فلسطين كانا اسمين محليين ومقبولين من قبل سكان هذه الأرض على خلاف كثير من الأسماء الأخرى مثل يهوذا مثلاً، والذي لم نر مؤشرات وذكرًا حقيقياً له، أو "إسرائيل" مثلاً. هنا يصبح الحديث حول الأسماء ضرورياً بالنظر إلى أنها تثبت ملكية الأرض لأصحابها التاريخيين على اختلاف أسمائهم كنعانيين أم فلسطينيين أم فينيقيين، وذلك ببساطة لأن اعتماد الاسم من قبل أصحاب الأرض يوثقه كمنتج رسمي وتاريخي لهم بعيداً عن أسباب ذهاب اسم وقدم آخر جديد.



على الرغم من أن "الفلسطينيين" يُعرفون اليوم كشعب متميز عن الكنعانيين بحسب الدراسات التوراتية، تظهر الدراسات الأثرية أن هناك تشابهاً كبيراً في الثقافة المادية بين الكنعانيين في العصور البرونزية المتأخرة والفلسطينيين في العصر الحديدي المبكر، ما يعكس استمرارية محلية وتأثيرات تبادلية بين المجموعتين.

وفي حال صنفناهم كمجموعتين منفصلتين، كانت المدن الحصينة تقع على تلال استراتيجية وتحيط بها أسوار حجرية مع بوابات وخنادق دفاعية، مما يدل على اعتماد استراتيجيات مشابهة في التخطيط الحضري والدفاع عن المدن. كما أظهرت الحفريات أن الأنشطة الاقتصادية والزراعية كانت متقاربة، بما في ذلك زراعة الحبوب، تربية الماشية، وإنتاج الحرف اليدوية، مع استمرار استخدام الأدوات الحجرية والمعدنية المألوفة.

من ناحية الفخار، رغم أن الفلسطينيين أدخلوا أنماطاً جديدة مثل Red-on-White Ware، إلا أن الأشكال الأساسية للأواني وأسلوب تصنيعها متوافق مع التقاليد الكنعانية المحلية، ما يشير إلى استمرارية عملية الإنتاج والتقنيات الحرفية.

كذلك، تظهر الأنماط الدينية والممارسات الجنائزية تشابهاً وتطابقاً في استخدام المذابح الصغيرة والطقوس الرمزية، مع بعض التعديلات التي غالباً ما تتغير كل قرن أو اثنين.

هذا عن التشابه وذوبان الفلسطينيين بالمجتمع الساحلي الكنعاني المحلي بشكل كامل في حال قلنا بأنهم وافدون من البحر، وفي حال كانوا قادمون من شمال سورية فمن الطبيعي أن تكون الثقافة متقاربة جداً. ولعل أقوى دليل على ذلك أن شعب الفلست أو البلست كان محلياً تماماً، بدلالة اللغة الكنعانية التي نطقوا بها وكتبوها على أوانيهم الفخارية والآلهة التي عبدوها وهي دجن وعشتروت



بشكل رئيسي، ولا يوجد أي عنصر أجنبي في موضوع اللغة أو الديانة مما يؤكد بأن الاسم تغير فعلاً لكن السكان بقوا ملاك الأرض.

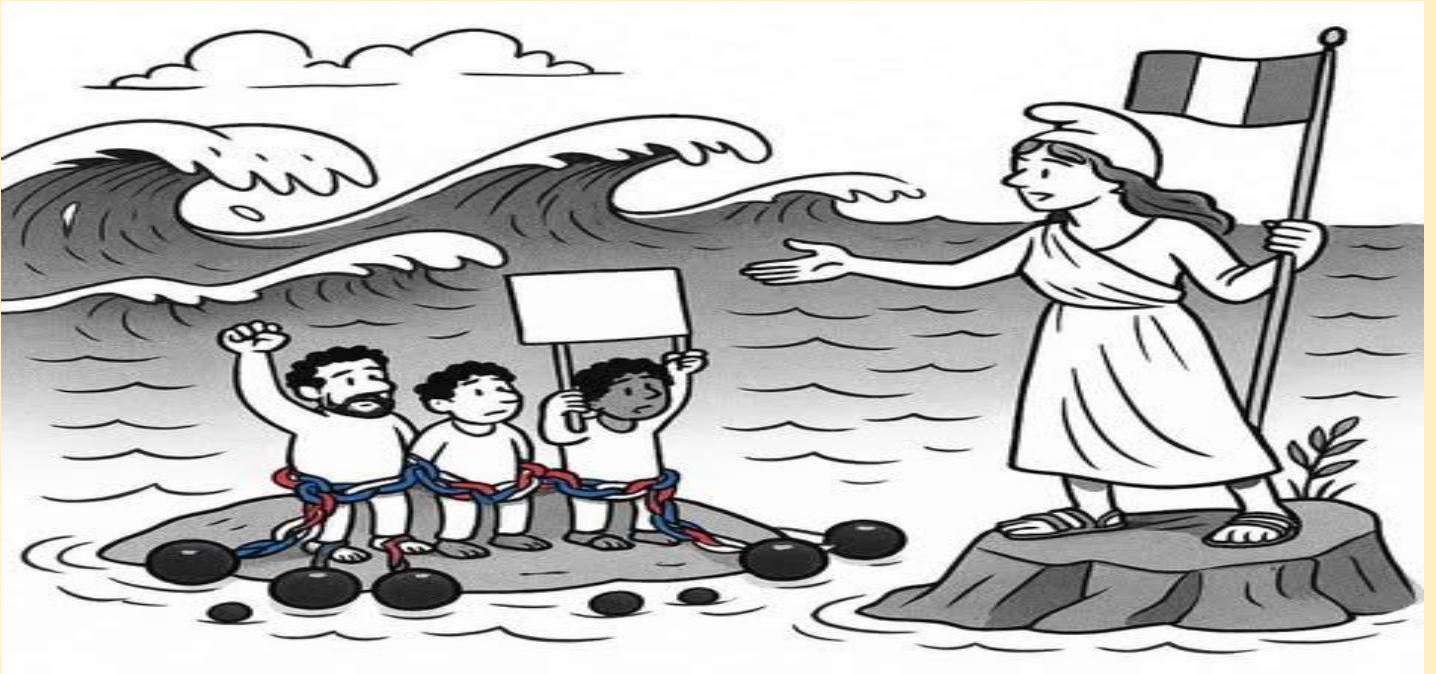
وفي هذا الصدد نشير إلى أن هناك عشرات ومئات القبائل والجماعات البشرية التي عبرت هذه الأرض منذ فجر التاريخ وكلها ذاب في بوتقة الثقافة الكنعانية بشكل واضح، إذ أن ديانة الخصب كانت على ما يبدو مثيرة للإعجاب بحيث أنها صهرت كل ما حولها ضمن حدودها وضوابطها الثقافية التاريخية، المثال الأوضح على ذلك هو نقل مجمع الآلهة الكنعانية، كما هو تقليدياً، مع تغيير الأسماء فقط، إلى اليونان ومن ثم جزئياً إلى روما، ولا ننسى تأثير اليونان والرومان باللغة الكنعانية التي أصبحت أحد روافد لغتهم من يونانية ولاتينية وصولاً إلى الألفبائية اليونانية واللاتينية.

المصادر:

- Anson F. Rainey (1996). *Canaanite in the Amarna Tablets*.
- Durand, J.-M. (1998). *Documents épistolaires du palais de Mari* (ARM XXVI).
- Drews, Robert (1998). "Canaanites and Philistines". *Journal for the Study of the Old Testament*. 23 (81): 39–61. [doi:10.1177/030908929802308104](https://doi.org/10.1177/030908929802308104). [S2CID 144074940](https://doi.org/10.1177/030908929802308104).
- Malamat, A. (1998). "Mari and the Bible" in *Biblical Archaeologist*.
- Kitchen, K.A. *Ramesside Inscriptions*, Vol. 5 (1983) – Peleset في نصوص رمسيس الثالث.
- Harrison, T.P. *The Land of Palistin: Tell Tayinat and the Sea Peoples* (2020) – Palistin سوريا.
- Hawkins, J.D. *The Inscriptions of the Aleppo Temple* (2011).
- Redford, D.B. *Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times* (1992).
- [Kunulua: Homeland of the Philistine Sea Peoples Finally Found? | Ancient Origins](#)
- [Features - The Ugarit Archives - Archaeology Magazine - July/August 2021](#)
- [The inscriptions of the Aleppo temple | Anatolian Studies | Cambridge Core](#)

فرنسا وأقاليم ما وراء البحار: استعمار مقتع بالشرعية الجمهورية

عبد الناصر بدروشي



من الغزو العسكري إلى الاستعمار الإداري:

لم تكن سيطرة فرنسا على الأقاليم ما وراء البحار نتيجة "تبادل ثقافي" أو "توسع طبيعي"، بل كانت ثمرة غزو مسلح، وتجارة رقيق، واستغلال وحشي للأرض والإنسان.

منذ القرن السابع عشر، حُوّلت جزر الأنتيل، غويانا، وريونيون إلى مزارع مفتوحة تُدار بالعبودية وتُغذي الاقتصاد الفرنسي على حساب ملايين الأفارقة المستعبدين.

نظرة سطحية على خارطة العالم تكفي حتى يتساءل أي إنسان بسيط: كيف أمكن أن تكون كل هذه المناطق المتناثرة عبر القارات والمحيطات أراضي فرنسية؟

إن مجرد النظر إلى مواقع هذه الأقاليم جغرافياً يكفي لمعرفة أن قرار إلغاء العبودية في فرنسا سنة 1848 لم يكن سوى مسرحية سمجة، حيث استبدلت فرنسا الأغلال الحديدية بآليات جديدة للسيطرة بطريقة أكثر جاذبية، وذلك عبر إعلان مستعمراتها أراضي فرنسية، وفرض التعليم القسري بلغة المستعمر، بالإضافة إلى القواعد العسكرية لبسط السيطرة والنظام.

"الاندماج" كأداة للهيمنة:



تحويل غوادلوب، مارتينيك، غويانا، وريونيون إلى "أقاليم فرنسية" سنة 1946 قدّمته باريس كخطوة نحو المساواة! لكن في العمق، كان هذا القرار آلية لإعادة إنتاج السيطرة الاستعمارية في ثوب "جمهوري".

حتى وإن كنا نرفض المساواة تحت عباءة الاحتلال، فإن القانون يطبّق في الظاهر بشكل موحد، بينما اللامساواة صارخة. فرغم أن الأقاليم تخضع للدستور الفرنسي، إلا أن البطالة، والفقر، وغلاء المعيشة تكشف عن تمييز بنيوي ممنهج.

حتى في الكيانات ذات "الحكم الذاتي"، مثل كاليدونيا الجديدة أو بولينيزيا، يظل الوجود العسكري والاقتصادي الفرنسي الضامن الأول للهيمنة. وبذلك، يُستخدم خطاب "الاندماج" لتجميل الاحتلال حيث تتحكم باريس في الأرض والاقتصاد والموارد البحرية باسم "الوحدة الوطنية".

اقتصاد تابع واستعمار معاصر:

اقتصادات ما وراء البحار صُممت لتكون تابعة:

- زراعة الموز وقصب السكر في الأنتيل، النيكل في كاليدونيا، السياحة في بولينيزيا... كلها موجهة لتغذية السوق الفرنسية والأوروبية.
- الاستيراد من فرنسا يفوق بكثير أي إنتاج محلي، ما يجعل هذه الأقاليم رهينة لسياسات باريس التجارية والجمركية.
- الإعانات المالية، التي تُقدّم على أنها "تضامن وطني"، ليست سوى وسيلة لإدامة التبعية، حيث تتحكم الدولة في لقمة العيش وتشتري الاستقرار الاجتماعي عبر التحويلات.

النتيجة: شعوب تُعاني من غلاء المعيشة، بطالة شبابية خانقة، وإحباط مزمن، بينما تُستنزف مواردها لخدمة المركز.

الذاكرة والمقاومة

رغم اعتراف فرنسا الرسمي بالعبودية كجريمة ضد الإنسانية (قانون توبيرا 2001)، إلا أن هذا الاعتراف يبقى رمزياً أكثر منه فعلياً. فالذاكرة الاستعمارية تُحاصر بين الاحتفالات الرسمية ورفض حقيقي لتفكيك البنى العنصرية التي خلفها الاحتلال، غير أن المقاومة لم تختفِ حتى وإن لم تكن مطالب أغلبها جذرية بما يكفي لاجتثاث الاحتلال.

غوادلوب وانتفاضة 2009

في يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) 2009 شهدت غوادلوب حركة اجتماعية ضخمة قادها ائتلاف النقابات والجمعيات (LKP – Liyannaj Kont Pwofitasyon).

الشرارة كانت ارتفاع الأسعار وتكلفة المعيشة بشكل غير متناسب مع الدخل، حيث تعاني الجزيرة من تبعية اقتصادية مفرطة للواردات القادمة من فرنسا ومتلاعب بها من قبل "البّيك" (أحفاد المستوطنين البيض). الحركة استمرت 44 يوماً وشلّت الحياة الاقتصادية: إضرابات عامة، مظاهرات يومية، ومواجهات مع الشرطة. رفعت الشعارات ضد الاستغلال الاستعماري وضد الوضعية التي تجعل سكان غوادلوب "مواطنين فرنسيين من الدرجة الثانية".

الانتفاضة أجبرت الحكومة الفرنسية على زيادة الأجور وفتح حوار حول التنمية، لكنها أيضاً أبرزت حدود النموذج الإداري القائم على المركزية الباريسية.



مايوت 2018: الغضب ضد التهميش

جزيرة مايوت، التي أصبحت مقاطعة فرنسية سنة 2011، عرفت في 2018 حركة احتجاجية كبرى. السبب المباشر كان انعدام الأمن وتزايد الهجرة غير النظامية من جزر القمر المجاورة، لكن خلف ذلك برزت أزمة عميقة:

- غياب البنى التحتية الصحية والتعليمية.
- ارتفاع البطالة والفقر.
- شعور بالخذلان بعد الوعود الفرنسية بدمج الجزيرة "كلياً" في الجمهورية.
- الإضرابات والاعتصامات أصابت الجزيرة بالشلل، وأظهرت أن الاندماج الإداري لم يُترجم بعد إلى مساواة فعلية في الحقوق والخدمات.
- سكان مايوت طالبوا بالمساواة الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما يكشف التناقض بين الخطاب الرسمي عن "الجمهورية الواحدة" والواقع على الأرض.

كاليدونيا الجديدة وانتفاضات 2020

كاليدونيا الجديدة لها تاريخ طويل من المقاومة بعد أحداث 1984-1988 (تمرد جبهة FLNKS للمطالبة بالاستقلال)، وعاد التوتر سنة 2020 مع موجة احتجاجات جديدة.

- الرفض الشعبي لبيع مصنع النيكل لمجموعة أجنبية.
- احتجاجات متكررة ضد الاستغلال الاقتصادي ونهب الثروات.
- عودة النقاش حول الاستقلال بعد ثلاثة استفتاءات متتالية (2018، 2020، 2021) أظهرت انقساماً عميقاً بين الكانك وأنصار البقاء مع فرنسا.
- الانتفاضة الاقتصادية تحولت إلى رمز سياسي لتأكيد أن الكانكيين ما زالوا يرفضون "الاستعمار الاقتصادي" ولو غُلف بغطاء إداري وقانوني.
- الحركة أبرزت أن المسألة الجوهرية ليست فقط في الحكم الذاتي الإداري، بل في تقرير المصير والسيادة على الموارد.

الحركات الثقافية المقاومة

بالتوازي مع الحركات الاجتماعية والسياسية، نشأت في جميع هذه الأقاليم حركات ثقافية وهوياتية:

- الحركة الكرولية في الأنثيل (غوادلوب ومارتينيك): تسعى لإحياء اللغة الكرولية والأدب الكرولي (إدوار غليسان، باتريك شاموازو) كأداة مقاومة رمزية ضد محو الهوية.
- الحركة الكانكية في كاليدونيا: تعيد إحياء التقاليد والرموز المحلية كجزء من مشروع الاستقلال الوطني.
- الحركة البولينيزية: في تاهيتي، تصاعدت حملات ضد التجارب النووية الفرنسية وضد التبعية الاقتصادية، مع إحياء الفن والرقص واللغة البولينيزية كعناصر مقاومة.

خلاصة: ما وراء البحار ليست فقط "أقاليم" بالنسبة لفرنسا، بل أوراق قوة جيوسياسية، بفضلها تملك فرنسا ثاني أكبر منطقة اقتصادية خالصة في العالم، أي مليارات الأمطار المكعبة من الموارد البحرية والطاقة.

طلقة تنوير

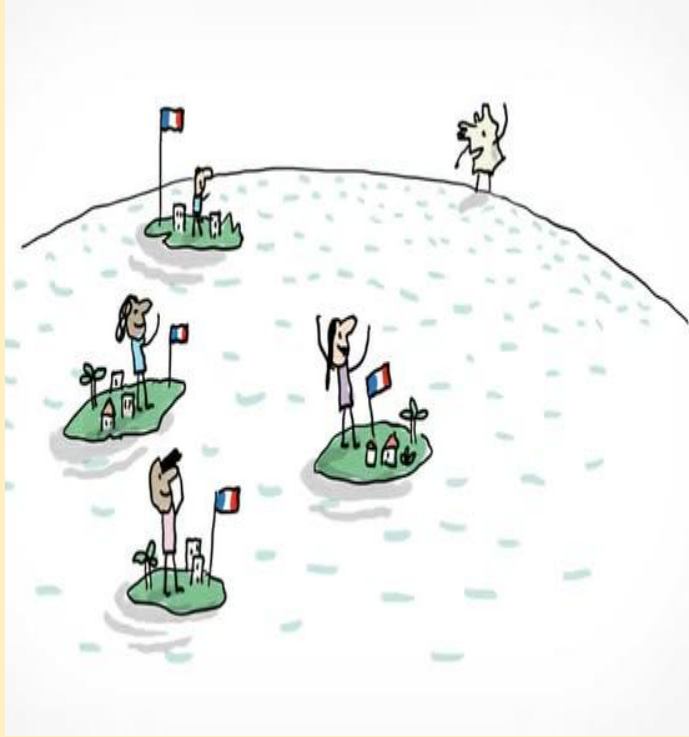
المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



كما أن القواعد العسكرية المنتشرة في المحيط الأطلسي، الهندي، والهادئ تجعل من هذه الأقاليم حصوناً متقدمة للنفوذ الفرنسي. باريس تقدّم وجودها هناك كـ"رسالة حضارية"، بينما الحقيقة هي أنها قوة احتلال لا تختلف حقارتها عن حقارة الكيان الصهيوني.



أقاليم ما وراء البحار: تاريخ الاحتلال والمسافة عن فرنسا

غوادلوپ GP

دخلت غوادلوپ تحت السيطرة الفرنسية سنة 1635 عبر شركة الهند الغربية الفرنسية، ثم تحولت بسرعة إلى مستعمرة زراعية قائمة على العبودية واستغلال قصب السكر. غير أن هذه السيطرة لم تكن مستقرة تماماً، إذ انتزعتها بريطانيا أكثر من مرة: في 1759 أثناء حرب السبع سنوات، ثم من 1794 إلى 1795، وأخيراً بين 1810 و1816. بعد مؤتمر فيينا، عادت الجزيرة نهائياً إلى فرنسا التي ضمّتها إلى إمبراطوريتها الاستعمارية. تقع غوادلوپ على بُعد يقارب الـ 6,700 كيلومتر من باريس عبر المحيط الأطلسي.

مارتينيك MQ

احتل الفرنسيون مارتينيك في العام نفسه مثل غوادلوپ (1635) بقيادة المستوطن بيير بيلان ديسامبو، وجعلوها إحدى أهم قواعدهم في الكاريبي. لكنها أيضاً كانت مطمناً لبريطانيا، التي سيطرت عليها مرات عديدة، أبرزها بين 1762 و1763، وأثناء الثورة الفرنسية بين 1794 و1802. ومع سقوط نابليون، أعاد مؤتمر فيينا سنة 1815 الجزيرة نهائياً إلى فرنسا. تبعد مارتينيك حوالي 6900 كيلومتر عن باريس.

غويانا الفرنسية GF

سعت فرنسا منذ بدايات القرن السابع عشر إلى تثبيت وجودها في غويانا على الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية. في عام 1643، أنشئت أول مستوطنة فرنسية في كايبين، لكن المنطقة شهدت تنازلاً عنيفاً مع الهولنديين والبرتغاليين. لم تستقر السيطرة الفرنسية إلا سنة 1817، حين أبرمت التسويات النهائية، لتتحول غويانا إلى مستعمرة دائمة. المسافة التي تفصل كايبين عن باريس تبلغ حوالي 7,100 كيلومتر.

ريونيون RE

تعتبر ريونيون حالة خاصة، إذ لم يكن يسكنها أحد قبل الاحتلال الأوروبي. في 1642 رفع الفرنسيون رايتهم فوق الجزيرة وأطلقوا عليها اسم "إيل بوربون"، ثم بدأ الاستيطان الزراعي الجدي سنة 1665 مع زراعة قصب السكر. خلال الحروب

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025

النايلونية سيطر البريطانيون لفترة قصيرة على الجزيرة، لكنها عادت سريعاً إلى فرنسا. تقع ريونيون في المحيط الهندي على بُعد يقارب 9,400 كيلومتر من باريس.

مايوت YT

جزيرة مايوت كانت جزءاً من أرخبيل جزر القمر، وتحوّلت إلى يد فرنسا بموجب معاهدة سنة 1841 حين تنازل عنها السلطان أندريان تسولي. منذ ذلك الحين صارت قاعدة بحرية استراتيجية لفرنسا في المحيط الهندي. وبعد استفتاء عام 2011، تحوّلت مايوت من "إقليم ما وراء البحار" إلى "إقليم فرنسي" كامل الحقوق داخل الجمهورية. المسافة بينها وبين باريس تُقدَّر بنحو 8000 كيلومتر.

سان بيير وميكلون PM

يقع هذا الأرخبيل قرب سواحل كندا، وكان أول وجود فرنسي فيه سنة 1604. غير أن مصيره ظل متأرجحاً بين فرنسا وبريطانيا. معاهدة أوترخت عام 1713 سلّمته لبريطانيا، ثم أعادته معاهدة باريس سنة 1763 إلى فرنسا. ومع ذلك، تواصل تبادلته بين الدولتين حتى عام 1816 حيث استقر نهائياً كجزء من فرنسا. تبعد هذه الجزر عن باريس حوالي 4300 كيلومتر، وهي الأقرب من بين جميع الأقاليم.

كاليدونيا الجديدة NC

لم تدخل كاليدونيا الجديدة تحت السيطرة الفرنسية إلا في وقت متأخر، إذ ضمّها نابليون الثالث سنة 1853. منذ البداية، استُخدمت الجزيرة كمستعمرة عقابية يُنفى إليها المحكومون. في القرن العشرين، خصوصاً منذ السبعينات، أصبحت مسرحاً لحركات استقلالية قوية تقودها جبهة التحرير الوطني الكانكي. وعلى الرغم من ذلك، فهي ما زالت ضمن السيادة الفرنسية بوضع "خاص". تقع كاليدونيا الجديدة في أقصى المحيط الهادئ، وتُعد الأبعد عن باريس بمسافة تقارب 16,700 كيلومتر.

بولينيزيا الفرنسية PF

فُرضت الحماية الفرنسية على جزر تاهيتي وبولينيزيا عام 1842 بعد مقاومة الملكة بوماري الرابعة، ثم جرى ضمّها رسمياً سنة 1880. ولم يقتصر دورها على كونها مستعمرة، بل أصبحت موقعاً للتجارب النووية الفرنسية ما بين 1966 و1996، وهو ما خلف آثاراً بيئية وصحية هائلة. تبعد بولينيزيا عن باريس حوالي 15700 كيلومتر.

واليس وفوتونا WF

وقعت واليس وفوتونا تحت حماية فرنسا ابتداءً من سنة 1842، ثم جرى تثبيت وضعها كمحمية خلال 1887-1888. وبعد عقود من الإدارة غير المباشرة، أصبحت رسمياً "إقليم ما وراء البحار" سنة 1961. هذا الأرخبيل يقع في المحيط الهادئ على بعد حوالي 16,000 كيلومتر من باريس.

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

عدد 99

01 أيلول 2025



سان بارتيليمي BL وسان مارتين MF

استولى الفرنسيون على سان بارتيليمي عام 1648، ثم تخلوا عنها للسويد سنة 1784 في إطار صفقات دبلوماسية، قبل أن تعود نهائياً إلى فرنسا عام 1878. أما سان مارتين، فقد قُسمت بين فرنسا وهولندا عام 1648: الشمال لفرنسا والجنوب لهولندا، وما زال هذا الوضع قائماً حتى اليوم. هاتان الجزيرتان تقعان في الكاريبي على مسافة تقارب 6,600-6,700 كيلومتر من باريس.

الخلاصة: عندما ترون ثروات الغرب المنهوبة من الجنوب العالمي، لا تنبهروا كثيراً.

تركز المادة أعلاه على أقاليم ما وراء البحار "الفرنسية"، لكنّ فرنسا نهبت وسرقت غيرها أيضاً، من الأمريكيتين وآسيا بين القرنين السادس عشر والسابع عشر، إلى إفريقيا وآسيا بين القرنين التاسع عشر والعشرين. نال 40 بلداً في العالم استقلاله من فرنسا في القرن العشرين، وكانت فرنسا ثاني أكبر دولة مستعمرة بعد بريطانيا. ومن البديهي أن ما سرقته فرنسا من شعوب الأرض يمثل جزءاً فحسب مما سرقه الاستعمار الغربي بعناوينه كافة. ربما تكون الدول الاستعمارية قد أحسنت استثمار ما نهبته في الصناعة والعلوم والتكنولوجيا، لكن ذلك لا يغير من حقيقة كون المنظومة التي أسستها قائمة على نهب الشعوب.

المصلحة قبل المبدأ: البريكس كنموذج لعلاقات حيوية مع الكيان الصهيوني في ظل خطاب معارض للهيمنة الغربية

إبراهيم حرشاوي



شهد العقدان الأخيران تصاعداً في الخطاب الذي يقدم دول البريكس الخمس بدون الملتحقين الجدد (البرازيل، روسيا، الهند، الصين، وجنوب أفريقيا) كجبهة عالمية مضادة للهيمنة الإمبريالية الغربية، وكممثلين لمشروع تحرري يرفض السيطرة الاستعمارية التقليدية ويبحث عن تعددية قطبية عالمية أكثر عدلاً. يروج هذا الخطاب لإعادة رسم موازين القوى الدولية، وتقويض النفوذ الأمريكي-الغربي، وتعزيز التعاون بين دول الجنوب، باعتبارها محوراً جديداً في السياسة العالمية.

ومع ذلك، يكشف الواقع العملي عن تناقضات جوهرية بين الخطاب الرسمي وممارسات هذه الدول على صعيد العلاقات الدولية، لا سيما فيما يتعلق بالكيان الصهيوني. فبينما تؤكد دول البريكس دعمها للسيادة الوطنية ورفض الهيمنة الغربية، نجد أن معظمها يشارك في شراكات استراتيجية وتجارية وعسكرية مع الكيان الصهيوني، الذي يُنظر إليه كأداة للنفوذ التكنولوجي والعسكري في الوطن العربي والعالم. ويبرز هذا التناقض بشكل واضح عند دراسة سلوك كل دولة من دول البريكس على حدة، سواء في الهند التي اعتمدت على النموذج الصهيوني لتطوير أمنها القومي، أو روسيا التي تنسق مع الكيان في سورية، أو البرازيل التي تجمع بين التعاون التكنولوجي-الدفاعي والمواقف السياسية المناوئة للكيان، وصولاً إلى جنوب أفريقيا التي توازن بين المواقف "الأخلاقية" والشراكات الاقتصادية مع الكيان.

تهدف هذه القراءة إلى تحليل العلاقات الثنائية بين دول البريكس والكيان الصهيوني خلال العقد الأخير، مع التركيز على 2024 (خلال حرب الإبادة على قطاع غزة)، للكشف عن أبعاد التعاون العسكري، الاقتصادي، والتكنولوجي، واستعراض مدى تقاطع



هذه العلاقات مع الخطاب الرسمي المعادي للهيمنة الغربية. كما تسعى إلى إبراز التناقضات بين الخطاب الأيديولوجي لهذه الدول وسلوكها العملي، بما يفتح آفاقاً لفهم أعمق لاستراتيجية كل دولة في إطار النظام الدولي متعدد الأقطاب.

العلاقات الصهيونية-الصينية: شراكة متعددة المستويات بين الأمن والتكنولوجيا

بدأت العلاقات بين الكيان الصهيوني وجمهورية الصين الشعبية في أوائل الثمانينيات، قبل إقامة العلاقات الدبلوماسية الرسمية في عام 1992. وقد تميزت هذه العلاقات، منذ نشأتها، بطابعها البراغماتي الذي يجمع بين الأبعاد العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية والأكاديمية.

أولاً: التعاون العسكري-الأمني

في العقود الأولى، شكل التعاون العسكري أحد الركائز الأساسية لهذه العلاقة. فقد لعب الكيان الصهيوني دوراً حيوياً في تحديث ترسانة الجيش الصيني من خلال بيع تقنيات عسكرية متقدمة، مثل تحديث الدبابات والطائرات، وتطوير أنظمة الطائرات بدون طيار. كما ساهم في إدخال تقنيات غربية على معدات سوفيتية قديمة، ما ساعد في رفع الجاهزية القتالية لجيش التحرير الشعبي الصيني.

عقب أحداث ميدان تيانانمن عام 1989، وعزل الصين دولياً من قبل الغرب، أصبح الكيان بمثابة قناة خلفية لتزويد بكين بتكنولوجيا ثنائية الاستخدام. ومن أبرز محطات هذا التعاون، محاولة بيع نظام الإنذار الجوي، والتي تم إيقافها بضغط من الولايات المتحدة. وتقدر بعض المصادر أن قيمة مبيعات الأسلحة الصهيونية إلى الصين بلغت نحو 4 مليارات دولار.

كما شملت العلاقات تبادل زيارات رفيعة المستوى، واتفاقيات عسكرية، وزيارات تدريبية ضمن بعثات حفظ السلام، خاصة في جنوب لبنان. ورغم توقيع مذكرة تفاهم عام 2005 مع واشنطن تمنع تصدير تكنولوجيا "حساسة" لبكين، استمر التعاون عبر قنوات مدنية وتكنولوجية تغطي مجالات مثل الطائرات المسيرة، الرادارات، تكنولوجيا الليزر، والبرمجيات الإلكترونية.

ثانياً: الشراكة الأكاديمية والتكنولوجية

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025

في عام 2024، شهدت العلاقات الأكاديمية والتقنية توسعاً غير مسبوق، حيث تم توقيع أكثر من أربع اتفاقيات بين جامعات كبرى، وزيادة برامج التبادل الطلابي بهدف رفع نسبة الطلاب الصينيين في مؤسسات الكيان خلال السنوات المقبلة. كما واصل معهد التخنيون الصيني-الصهيوني في غوانغدونغ تعزيز بيئته البحثية، باستثمارات تجاوزت 360 مليون. في المجال التكنولوجي، لعبت منتزهات الابتكار المشتركة في شنغهاي وتشانغتشو دوراً محورياً، حيث احتضنت مئات الشركات الناشئة، وتم تسجيل عدد كبير من براءات الاختراع. كما تبنت الصين تقنيات صهيونية متقدمة في الزراعة الذكية والذكاء الاصطناعي، في حين استثمرت شركات صينية مليارات الدولارات في قطاع التكنولوجيا الصهيوني، وخصوصاً في الأمن السيبراني، الأنظمة الطبية، وحلول المدن الذكية.

ثالثاً: التبادل التجاري والاختلال في الميزان

في عام 2024، بلغ حجم التبادل التجاري بين الطرفين 16.28 مليار دولار (باستثناء الألماس)، بزيادة قدرها 11.7% مقارنة بعام 2023. ومع ذلك، يظهر الميزان التجاري خللاً كبيراً لصالح الصين، إذ بلغت واردات الكيان من الصين 13.52 مليار دولار، في مقابل صادرات لا تتجاوز 2.76 مليار، وهو أدنى مستوى للصادرات الصهيونية إلى السوق الصينية منذ عام 2014.

تعكس هذه المؤشرات شراكة متنامية يغلب عليها الطابع الاقتصادي-التقني، مدعومة بخلفية أمنية استراتيجية. فبينما تستفيد الصين من التكنولوجيا الصهيونية لتطوير قدراتها الصناعية والعسكرية، يستغل الكيان التمويل والسوق الصيني لتعزيز قطاعاته التكنولوجية والدفاعية. ومع أن التعاون يتعرض لضغوط أميركية متزايدة، إلا أن الطرفين يواصلان توسيعه عبر مسارات غير تقليدية – مثل الجامعات، مراكز الابتكار، والمشاريع الثنائية التي تمثل غطاءً لتبادل استراتيجي شديد الحساسية في سياق جيوسياسي متقلب.

العلاقات بين الكيان الصهيوني وجنوب أفريقيا: نموذج البريكس



في عام 2024، وبينما تصاعدت الخطابات السياسية المناهضة للكيان الصهيوني من جانب جنوب أفريقيا على الساحة الدولية، كشفت العلاقات بين الطرفين عن عمق وتعقيد أكبر مما كان يعتقد كثيرون. ففي ظل الإدانات الدبلوماسية ومقاطعات الجامعات، استمرت شراكات "إنسانية" وتبادلات تجارية هامة بعيداً عن الأضواء.

من أبرز الأمثلة على ذلك، عمل منظمة Innovation: Africa، وهي منظمة غير ربحية مقرها في الكيان الصهيوني

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



والولايات المتحدة، التي وقّرت مياهاً نظيفة وطاقة شمسية لقرى نائية في جنوب أفريقيا. ففي عام واحد فقط، أنشأت المنظمة 192 نظاماً للمياه النظيفة استفاد منها أكثر من 760,000 شخص في محافظات مثل ليمبوبو ومبومالانغا وكوازولو ناتال.

في قرية مخومبيني في مبومالانغا، أطلقت المنظمة في مارس / آذار 2024 مشروعاً يتضمن ألواحاً شمسية وبرج مياه عالي السعة و24 صنوبراً عاماً. يوفر النظام حوالي 3,100 لتر من المياه النظيفة في الساعة، مما أدى إلى تحسين حياة نحو 3,900 شخص. وفي قرية دواليني، استفاد نحو 4,000 شخص من مشروع مماثل، مما أدى إلى انخفاض في معدلات الأمراض بين الأطفال وزيادة في نسبة الالتحاق بالمدارس. تتبنى المنظمة نهجاً يجمع بين التكنولوجيا والعمل المجتمعي، إذ يتم تدريب عشرة فنيين محليين في كل قرية على صيانة الأنظمة. كما تسمح أدوات المراقبة عن بُعد باكتشاف الأعطال ومعالجتها بسرعة. وقالت مؤسّسة المنظمة، سيفان يعاري: "نحن لا نهتم بالسياسة، كل ما نريده هو المساعدة".

في المقابل، وبينما كانت منظمات صهيونية "تحسّن" الحياة اليومية في جنوب أفريقيا، كانت شحنات الفحم الجنوب أفريقي تتدفق في الاتجاه المعاكس — لتغذية البنية التحتية في الكيان الصهيوني. فقد صدرت جنوب أفريقيا في عام 2023 نحو 79,000 طن من الفحم الحجري إلى الكيان، بقيمة تقترب من 79 مليون دولار أمريكي. وبين أكتوبر 2023 وأكتوبر 2024، شحنت جنوب أفريقيا أكثر من 1.4 مليون طن، ما يعادل حوالي 25% من إجمالي واردات الفحم لدى الكيان، وخصوصاً بعد أن علّقت كولومبيا صادراتها إليه.

يتم تصدير الفحم عبر ميناء "ريتشاردز باي"، وتشارك في ذلك شركات مثل "غلينكور" و"أفريكان رينبو مينيرالز". وقد أثارت هذه الصادرات انتقادات من منظمات المجتمع المدني، التي اتهمت بريتوريا بالنفاق السياسي، حيث تدين الحكومة الكيان الصهيوني في المحافل الدولية بينما تزوّده بالوقود الذي يدعم اقتصاده وحتى بنيته العسكرية.

بعد الانتقال إلى "الديمقراطية" في 1994، انخفض التعاون العسكري الرسمي، لكن العلاقات التجارية والاستراتيجية لم تنقطع تماماً. وقد كشفت تقارير تحقيقية من منظمة "أوبن سيكريتس"، لا سيما تقريرها لعام 2023، عن استمرار شركات جنوب أفريقية في تصدير مكونات عسكرية وتقنيات مزدوجة الاستخدام إلى شركات مرتبطة بالكيان الصهيوني، غالباً من خلال وسطاء ومشاريع مشتركة.

من ضمن الشركات البارزة شركة "راينميثال دينيل مونيشن (RDM)"، وهي مشروع مشترك بين شركة دينيل الجنوب أفريقية وشركة راينميثال الألمانية. تنتج الشركة ذخائر تُستخدم في نزاعات متعددة، ويُعتقد أنها تصل إلى الكيان الصهيوني أو حلفائه عبر دول مثل الهند والإمارات. كما تحتفظ شركة "إلبيت سيستمز" الصهيونية بوجود لها في جنوب أفريقيا وتتعاون مع شركات محلية لتطوير أنظمة مراقبة وطائرات مسيرة. على الرغم من أن جنوب أفريقيا تزعم رفض تصدير الأسلحة إلى دول منخرطة في نزاعات أو متهمه بانتهاكات حقوقية، تشير تقارير منظمة "أوبن سيكريتس" وسجلات الجمارك إلى استمرار الصادرات العسكرية إلى جهات مرتبطة بالكيان الصهيوني. وقد وُجهت اتهامات للجنة الوطنية للرقابة على الأسلحة التقليدية في جنوب أفريقيا (NCACC) بالتواطؤ وعدم الشفافية.

برز هذا التناقض بوضوح خلال العمليات العدوانية للكيان الصهيوني العسكرية في غزة أعوام 2008، 2014، ومؤخراً بين 2023 و2025، حيث دعت منظمات مدنية مثل حملة التضامن مع فلسطين وحركة BDS إلى إنهاء تجارة الأسلحة مع الكيان. في فبراير / شباط 2025، طالبت حركة "القتال من أجل الحرية الاقتصادية (EFF)" بوقف كامل لتصدير الأسلحة إلى الدول الداعمة للكيان الصهيوني، مشيرة إلى أن صادرات جنوب أفريقيا من الأسلحة إلى تلك الدول تجاوزت 3.3 مليار راند. النائب الجنوب أفريقي كارل نيهوس وصف هذه الصادرات بأنها "تناقض خطير مع الالتزامات الأخلاقية والدستورية"، محذراً من أن الأسلحة الجنوب أفريقية قد تكون قد استخدمت ضد المدنيين في غزة.

وفي نوفمبر / تشرين الثاني 2023، كشفت صحيفة "ميل آند غارديان" عن فجوة واضحة بين تصريحات الحكومة وواقع التجارة العسكرية، حيث أشارت إلى استمرار تصدير مكونات طيران وأجهزة دفاعية إلى الكيان، رغم عدم توفر ضمانات حول الاستخدام النهائي.

يتضح أن جنوب أفريقيا تعيش حالة من الانقسام السياسي: فهي تدين الكيان الصهيوني أمام محكمة العدل الدولية بتهمة الإبادة الجماعية، لكنها في الوقت ذاته تسمح بصادرات تدعم اقتصاده، بل وربما جيشه. وبينما تواصل منظمات المجتمع المدني المطالبة بالمساءلة، تبقى العلاقة بين الكيان الصهيوني وجنوب أفريقيا مثلاً صارخاً على التناقض بين المبادئ المعلنة والمصالح الاقتصادية والسياسية.

العلاقات بين الكيان الصهيوني ودول البريكس: العلاقة مع البرازيل نموذجاً



تتمتع البرازيل والكيان الصهيوني بعلاقة ثنائية متعددة الأوجه قائمة على تعاون قوي في المجالات العسكرية والتكنولوجية والتجارية. تركز الشراكة على شركات عسكرية للكيان الصهيوني مثل شركة "إلبيت سيستمز"، التي لها حضور كبير في البرازيل عبر شركات مثل Ares Aeroespacial e AEL Sistemas و Defesa. تنتج هذه الشركات محطات أسلحة يُمكن التحكم بها عن بعد (REMAX)، وأنظمة إلكترونيات الطيران، وتقنيات المراقبة للقوات المسلحة البرازيلية.

تشمل عقود إلبيت صفقة بقيمة 100 مليون دولار لتصنيع أنظمة REMAX محلياً، وصفقة أخرى بقيمة 210 ملايين دولار لـ 36 مدفع ذاتي الحركة من طراز ATMOS 2000، إلا أن تنفيذها تم توقيفه بسبب مخاوف سياسية. كما

زود الكيان الصهيوني البرازيل بطائرات هليكوبتر بدون طيار من طراز هيرمس 450، وتعاونتا في تطوير طائرة Caçador بدون طيار، وهي نسخة مملوكة محلياً من طائرة هيرون للكيان الصهيوني، تم تعديلها عبر اتفاقيات نقل التكنولوجيا لتتماشى مع سياسات البرازيل في تحقيق الاستقلال الاستراتيجي.

استوردت البرازيل في السابق صواريخ ديربي جو-جو من الكيان الصهيوني واستأجرت مقاتلات كفير في عقود سابقة. يخضع التعاون العسكري لاتفاقية دفاع ثنائية وقعت عام 2019 تتيح التعاون الرسمي في التدريب والأمن السيبراني والأمن العام

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



واللوجستيات والاستخبارات . ويسهل الملحق العسكري للكيان الصهيوني في برازيليا التنسيق المستمر ويدعم القوات المسلحة البرازيلية في تخطيط الاقتناء، وتمارين التوافقية، والاستجابة للأزمات.

في مجال التكنولوجيا والابتكار، يستفيد الطرفان من تبادل نشط تدعمه برنامج تعاون 2018 بين هيئة الابتكار للكيان الصهيوني و FINEP/EMBRAP II البرازيلية، الذي مول أبحاث وتطوير مشتركة في الزراعة وعلوم الحياة والأمن السيبراني والطاقة. كما عززت اتفاقية تعاون في العلوم والتكنولوجيا، التي وُقعت خلال زيارة الرئيس بولسونارو للكيان الصهيوني عام 2019، الروابط المؤسسية في البحث والابتكار وريادة الأعمال. كانت الخبرة الزراعية للكيان الصهيوني حاسمة لمناطق البرازيل شبه الجافة منذ الستينيات، خاصة في الشمال الشرقي.

وتعمل أكثر من 300 شركة للكيان الصهيوني في البرازيل في قطاعات مثل الأمن السيبراني والري والتكنولوجيا الطبية والفضاء والاتصالات. أنشأت البرازيل مكتب تجارة وابتكار في القدس عام 2019، تديره وكالة Apex-Brasil لتعزيز الشراكات والاستثمارات في الصناعات التقنية المتقدمة.

تستند العلاقات التجارية إلى اتفاقية التجارة الحرة بين ميركوسور والكيان الصهيوني عام 2007، والتي نفذتها البرازيل عام 2010، وكانت أول اتفاقية من نوعها توقعها الكيان الصهيوني مع كتلة أمريكا اللاتينية. شهدت التجارة الثنائية نمواً مستقراً وبلغت نحو 1.8759 مليار دولار أمريكي في 2024، حيث صدر الطرفان بضائع بقيمة 725.1 مليون دولار للكيان الصهيوني شملت بشكل رئيسي النفط الخام (حوالي 30%)، واللحوم (حوالي 23%)، وفول الصويا (حوالي 11%) في حين استوردت البرازيل من الكيان الصهيوني بقيمة 1.1508 مليار دولار، بما في ذلك الأسمدة الكيماوية والمبيدات والإلكترونيات ومكونات الطائرات ومعدات عسكرية. شكلت الأسمدة بين 38% و 44% من واردات البرازيل من الكيان الصهيوني عام 2024، أي ما يقارب 488.5 مليون دولار. وبلغ عجز الميزان التجاري للبرازيل حوالي 425.7 مليون دولار.

كما تمثل الاستثمارات للكيان الصهيوني في البرازيل أهمية خاصة في الصناعات الاستراتيجية مثل الدفاع والأمن السيبراني والتكنولوجيا الزراعية والطاقة المتجددة. وبالإضافة إلى مشاريع الزراعة والأمن الغذائي، وقع الطرفان اتفاقيات للتعاون في أنظمة الطاقة وتطوير النفط والغاز والتكنولوجيا الأمنية العامة. ومنذ 2019، دعمت مذكرات تفاهم أدوات الشرطة الذكية وأنظمة البيانات المتكاملة لحماية المدنيين.

ورغم التوترات الدبلوماسية الأخيرة، خاصة بعد انتقاد البرازيل للكيان الصهيوني في غزة واستدعاء سفيرها عام 2024، ما تزال البنية التحتية الثنائية من اتفاقيات وعقود ومشاريع مشتركة وشراكات استراتيجية قائمة. أوقفت الخلافات السياسية بعض الصفقات العسكرية، مثل تسليم مدافع ATMOS، لكنها لم تقطع العلاقات التجارية أو التقنية بشكل جذري. تواصل البرازيل التأكيد على سياسة الانخراط مع جميع الدول بغض النظر عن الخلافات السياسية، وما تزال الحوافز العملية قوية لدى الطرفين للحفاظ على التعاون في المجالات العسكرية والتكنولوجية والتجارية.

ومع ذلك، يواجه هذا التعاون معارضة متزايدة داخلياً في البرازيل. فمنذ أواخر 2023، أدانت مجموعة بارزة من النواب الفيدراليين من أحزاب اليسار مثل حزب العمال (PT)، PSOL، و PCdoB الروابط العسكرية مع الكيان الصهيوني، وخصوصاً في ضوء أفعال الكيان الصهيوني في غزة. في نوفمبر / تشرين الثاني 2023، وقع 61 نائباً، من بينهم أليس بورتغال وغويليرمي بولوز وتشيكو أليكار وجوان دانيال وماريا دو روزاريو، رسالة عامة تطالب بوقف إطلاق النار في غزة واستدعاء السفير البرازيلي من "تل أبيب".

تصاعد هذا الضغط في يونيو / حزيران 2025 عندما اجتمع نحو 20 نائباً، بقيادة جوان دانيال، مع مستشار رئاسي كبير، سلزو أموري، للمطالبة باتخاذ تدابير أقوى، منها عقوبات دبلوماسية وتعليق مشتريات الأسلحة. دعم هذه الجهود منظمات مجتمع مدني مثل Conectas Direitos Humanos، Justiça Global، وحركة العمال بلا مأوى (MTST)، التي ترى أن

صفقات الأسلحة مع شركات للكيان الصهيوني مثل "إلبيت سيستمز" تجعل البرازيل شريكة في انتهاكات القانون الإنساني الدولي. بالتوازي، شجعت اتحادات الطلاب والهيئات الأكاديمية حملات مقاطعة تستهدف المؤسسات للكيان الصهيوني والشركات العسكرية، متماشية مع حركة المقاطعة العالمية.

على الجانب الآخر، عارض نواب يمينيون مثل كارلا زامبيلي وأكثر من 100 عضو من PL، União Brasil، و PSD بشدة موقف لولا المؤيد للفلسطينيين، حتى أنهم بادروا بمقترحات عزله في أوائل 2024 بسبب وصفه الأفعال للكيان الصهيوني بأنها "إبادة جماعية".

هكذا، وبينما تظل العناصر الهيكلية للشراكة بين البرازيل والكيان الصهيوني قائمة، فإن الاستقطاب الداخلي يمارس ضغطاً متزايداً على الحكومة لإعادة النظر أو إعادة توازن بعض جوانب التعاون العسكري والتكنولوجي.

العلاقات بين دول البريكس والكيان الصهيوني: العلاقة الهندية-الصهيونية نموذجاً

في عام 2024، عمّق الطرفان، الهند والكيان الصهيوني، شراكتهما الاستراتيجية في المجالات العسكرية والتكنولوجية والتجارية، وذلك استناداً إلى عقود من التعاون الوثيق.



على الصعيد العسكري، كانت العلاقة تركز على تجارة الأسلحة القوية، حيث بقيت الهند أكبر زبون للمعدات العسكرية التي ينتجها الكيان الصهيوني. فقد بلغت واردات الأسلحة من الكيان حوالي 128 مليون دولار. شملت هذه الواردات طائرات بدون طيار، وأنظمة دفاع صاروخي، وتقنيات مراقبة، وتدريباً متخصصاً للقوات الأمنية الهندية. ومن بين المشاريع الوازنة، نظام الصواريخ "باراك-8" المشترك، الذي أنتجته كل من منظمة البحث والتطوير الدفاعية الهندية (DRDO) والصناعات الجوية التابعة للكيان الصهيوني، بالإضافة إلى نشر طائرات استطلاع متقدمة من طراز "هيرون" و"سيرشر" و"هيرميس 900". كما بدأت القوات البرية والبحرية الهندية استخدام طائرة "دريشتي-10 ستارلاينر"، وهي طائرة ISR طورتها شركة "إلبيت سيستمز" وتصنع في الهند من خلال مشروع مشترك مع مجموعة "أداني".

في الوقت ذاته، وقرّ الكيان الصهيوني تدريباً متقدماً في مجالات مكافحة الإرهاب والحرب الإلكترونية للقوات الخاصة الهندية، مما يعكس بُعداً متنامياً للتعاون في مجال الأمن السيبراني وتبادل الاستخبارات.

أما على المستوى التكنولوجي، فقد ازدهرت الشراكة بين الطرفين تحت شعار الابتكار والتطوير الصناعي المشترك. واصل "صندوق البحث والتطوير والابتكار الصناعي الهندي-الصهيوني (I4F)" تمويل مشاريع متقدمة في الذكاء الاصطناعي، والصحة، والحفاظ على المياه، والزراعة. ومن أبرز التطورات في عام 2024، الإعلان عن إنشاء مصنع لتصنيع أشباه الموصلات بقيمة 10 مليارات دولار في ولاية ماهاراشترا، من قبل شركة "تاور سيميكونداكتر" بالتعاون مع مجموعة "أداني"، في إطار مساعي الهند لتأمين سلسلة إمداد محلية في مجال الرقائق الإلكترونية. وفي مجال الزراعة، وسّع "مشروع الزراعة الهندي-الصهيوني" شبكته من "مراكز التميز" لتتجاوز ثلاثين مركزاً في ثلاث عشرة ولاية هندية، تقدم هذه المراكز تقنيات

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



مثل الري بالتنقيط وإدارة ما بعد الحصاد والزراعة عالية الكفاءة، مما أدى إلى تقليل استخدام المياه بنسبة تصل إلى 65% وزيادة المحاصيل أكثر من الضعف. كما شهد التعاون الفضائي زخماً جديداً مع دمج الهند لأنظمة الأقمار الصناعية "تيك-سار" التي ينتجها الكيان الصهيوني ضمن شبكات المراقبة العسكرية والمدنية، ما عزز قدراتها على التصوير الفوري والمراقبة الاستراتيجية.

في الجانب التجاري، بلغ حجم التبادل التجاري الثنائي نحو 6.5 مليار دولار في عام 2024، بانخفاض عن الذروة التي وصلت إلى 10.8 مليار دولار في 2022-2023، مع العلم أن الصفقات العسكرية لا تُدرج ضمن هذه الأرقام. صدرت الهند إلى الكيان الصهيوني ما قيمته نحو 2.13 مليار دولار من الأحجار الكريمة، والكيماويات، والوقود، والآلات، بينما بلغت الصادرات الصهيونية إلى الهند (باستثناء السلاح) حوالي 1.33 مليار دولار، وشملت المعدات الإلكترونية، والأسمدة، والأدوات البصرية، والأجهزة الطبية. أما الصادرات العسكرية، فقد أضافت 128 مليون دولار إضافية إلى حجم التجارة الخارجية من الكيان. بلغ حجم الاستثمار الأجنبي المباشر من الكيان الصهيوني في الهند أكثر من 326 مليون دولار، وتعمل أكثر من 300 شركة صهيونية في الهند في قطاعات تتراوح بين التكنولوجيا النظيفة، والصناعات الدوائية، والأمن السيبراني، والتصنيع المتقدم. وكجزء من استراتيجية اقتصادية أوسع، سعى الطرفان إلى إبرام اتفاق لحماية الاستثمار في عام 2024، يهدف إلى تحقيق استقرار تنظيمي وتشجيع ثقة القطاع الخاص. كما دعا وزير التجارة الهندي بيوش غويال إلى مضاعفة حجم التبادل التجاري بين الطرفين عشر مرات خلال العقد المقبل، مشيراً إلى قطاعات مثل التكنولوجيا المالية، والتكنولوجيا العميقة، والدفاع، والذكاء الاصطناعي، وتقنيات المياه، والطاقة المتجددة، باعتبارها مجالات واعدة للتوسع.

الهند والمشروع الصهيوني

بعد نهاية الحرب الباردة، بدأت الهند إعادة النظر في مواقفها بشكل جذري. فقد تزامن تطبيع العلاقات الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني في عام 1992 مع تحرير الاقتصاد الهندي وإعادة توجيه سياستها الخارجية. ومع مرور الوقت، وخاصة تحت حكم حزب بهاراتيا جاناتا (BJP) بقيادة أتال بيهاري فاجباي وناريندرا مودي، بدأ يُنظر إلى الصهيونية في أوساط التيار القومي الهندوسي ليس كأيديولوجيا استعمارية، بل كنموذج لإحياء قومي حازم. وقد وجد مفكرو ومخطوطو حزب "هندوتفا" تشابهات بين الصهيونية ومشروعهم الأيديولوجي، لا سيما في التأكيد على الهوية الحضارية، وتحقيق الأمن من خلال القوة العسكرية، وتأسيس دولة قومية ذات طابع ديني. وعلى الرغم من أن هذا التقارب لم يُعترف به رسمياً في الوثائق السياسية، إلا أنه أصبح أكثر وضوحاً في خطابات قادة الحزب القومي ومثقفيه.

وكانت زيارة ناريندرا مودي إلى الكيان الصهيوني عام 2017 - وهي الأولى من نوعها لرئيس وزراء هندي - حدثاً رمزياً كبيراً يعكس تقبلاً علنياً لهذا الكيان، ومن خلاله للصهيونية كموقف براغماتي. وبهذا المعنى، أصبحت الصهيونية في الهند رمزاً استراتيجياً وأيديولوجياً، وخصوصاً للدوائر اليمينية، حيث تُعجب بنجاحها في بناء دولة حديثة، عسكرية، متقدمة تكنولوجياً، وحضارية واثقة بنفسها.

ثقافياً، أخذ التأثير الصهيوني يتوسع في الإعلام الهندي، والخطاب العام، والاستراتيجية العسكرية. وقد تمت دراسة نماذج الكيان الصهيوني في مكافحة الإرهاب، والتقنيات الحدودية، وأساليب الاستخبارات وتكييفها في بعض الحالات في كشمير الهندية وفي عمليات مكافحة التمرد في مناطق أخرى. ويُبرّر هذا التوجه غالباً بمنطق "الأمن القومي أولاً"، مما يعكس قبولاً ضمنياً للنموذج الصهيوني ويعزز تطبيع استراتيجيات الحكم والردع الصهيونية.

على المستوى الشعبي، برزت حركة إنجيلية مؤيدة للكيان الصهيوني في بعض أوساط المسيحيين في جنوب الهند، ممن ينظرون إلى هذا الكيان من منظور توراتي ورسولي. أما الجالية اليهودية الهندية - رغم محدودية عددها - فقد دعمت عموماً تعزيز العلاقات مع الكيان الصهيوني وتمتعت بعلاقات تاريخية ودية مع الطوائف الدينية الأخرى في الهند. ومع ذلك، تبقى الصهيونية مسألة جدلية في الهند، لا سيما بين نحو 200 مليون مسلم هندي وشريحة واسعة من المثقفين العلمانيين. إذ يرى النقاد أن الدعم

غير المشروط للكيان الصهيوني وتبني أيديولوجيا صهيونية يُضعف موقف الهند الأخلاقي كقوة ما بعد استعمارية ويقوّض دعمها التاريخي لحقوق الفلسطينيين. لا تزال الجامعات، والأحزاب اليسارية، ومنظمات المجتمع المدني تعارض الاحتلال الصهيوني بقوة، وتنتقد التقارب الأيديولوجي المتزايد بين "هندوتفا" والصهيونية.

باختصار، اتسمت العلاقات بين الطرفين في عام 2024 بتعاون ديناميكي في المجال العسكري، وشرارات تكنولوجية متسارعة، وتفاعل اقتصادي مستقر. ولم تقتصر شراكتهم على تبادلات تجارية بحتة، بل جسدت رؤية استراتيجية مشتركة تستند إلى المصالح الأمنية، والتنمية القائمة على الابتكار، والتقارب الجيوسياسي. ومع نزوح الأطر المؤسسية وفتح قنوات جديدة للاستثمار، فإن الاتجاه العام يشير إلى تحالف شامل وأكثر رسوخاً في المستقبل.

دول البريكس والعلاقة مع الكيان الصهيوني: العلاقة الصهيونية-الروسية نموذجاً

استمرت في عام 2024 العلاقات الثنائية بين روسيا والكيان الصهيوني براغماتية ومعقدة، مدفوعة برغبة مشتركة في الحفاظ على الاستقرار الاستراتيجي في منطقة تشهد تصاعداً في التوترات. وعلى الرغم من تعمق العلاقات الروسية مع إيران وافتتاح موسكو على أطراف فلسطينية مثل حماس، حافظت موسكو والكيان الصهيوني على قنوات اتصال قوية وتنسيق أمني منتظم، لا سيما فيما يتعلق بسورية.



عقد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ورئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو عدة لقاءات واتصالات مباشرة، أكدوا خلالها على أهمية آليات منع التصادم والاستقرار الإقليمي. وكان من أبرز ملامح هذا التنسيق عرض روسيا للتوسط بين الكيان الصهيوني وإيران، حيث طرح بوتين مبادرات سلام علنية خلال مننديات دولية، داعياً إلى الحوار السياسي ومشدداً على ضرورة تجنب اندلاع حرب إقليمية.

وفي هذا السياق، اقترحت روسيا ترتيبات أمنية متعددة الأطراف في سورية، تشمل الكيان الصهيوني وإيران ودول الخليج وسورية، بهدف تنسيق انسحاب القوات الأجنبية ومنع التصعيد. ظلّ التنسيق الأمني في سورية

حجر الزاوية في العلاقة بين الطرفين. فاستمرت قنوات الاتصال العسكرية لتجنب أي مواجهات مباشرة بين القوات الجوية التابعة للكيان والقوات الروسية المتمركزة في سورية. وواصل الكيان الصهيوني تنفيذ ضربات ضد أهداف مرتبطة بإيران داخل سورية، مع إبلاغ الجانب الروسي مسبقاً. وفي المقابل، امتنعت روسيا عن اعتراض تلك العمليات، بل وأجلت تسليم أنظمة أسلحة متطورة – مثل مقاتلات سو-35 – إلى إيران، استجابةً على ما يبدو لضغوط دبلوماسية من قبل الكيان الصهيوني.

ومع ذلك، بقيت الأوضاع حساسة؛ فقد كشفت استخبارات الكيان في عام 2024 أن نحو 60 إلى 70% من ترسانة حزب الله في لبنان تتكوّن من أسلحة روسية الصنع، مثل صواريخ كورنيت المضادة للدروع. وأثار هذا الاكتشاف قلقاً متزايداً لدى الكيان بشأن دور روسيا غير المباشر في تمكين "وكلاء إيران"، على الرغم من نفي موسكو الرسمي لأي علاقة بذلك.



وعلى الرغم من هذه التوترات، واصلت العلاقات الاقتصادية والتكنولوجية بين روسيا والكيان الصهيوني تقدمها. فقد بلغ حجم التبادل التجاري الثنائي في عام 2024 حوالي 3.86 مليار دولار أمريكي، حيث صدر الكيان إلى روسيا سلعاً بقيمة تقارب 490 مليون دولار، شملت منتجات زراعية وأجهزة طبية وتقنيات بصرية، بينما بلغت الصادرات الروسية – مثل النفط والقمح والمواد الخام – نحو 2.37 مليار دولار. كما وصلت الاستثمارات الروسية في الكيان إلى حوالي 600 مليون دولار، خاصة في قطاعات البنية التحتية والشركات الناشئة في مجال التكنولوجيا. واستمرت المنصات المشتركة مثل "روسنانو الكيان الصهيوني" والشراكات مع مركز سكولكوفو للابتكار في العمل، مما ساهم في تطوير أبحاث في مجالات النانو تكنولوجيا والابتكار الطبي.

مع ذلك، ظلت العلاقات بين الطرفين تحت ضغط دائم بسبب اختلاف توجهاتهما الجيوسياسية. فقد أعرب الكيان عن قلقه من استضافة روسيا لوفود من حركة حماس، ومن دعم موسكو العلني المتزايد للمواقف الفلسطينية. وفي المقابل، انتقدت وسائل الإعلام الروسية والمسؤولون الروس بشدة العمليات العسكرية التي شنها الكيان على غزة. إلا أن الطرفين مارسا ضبط النفس، ومنعنا هذه الخلافات من التأثير على مجالات التعاون الأوسع. ويعود ذلك إلى طبيعة العلاقة القائمة على المصالح المتبادلة: إذ يحتاج الكيان إلى استمرار وصوله إلى المجال الجوي السوري الخاضع للنفوذ الروسي، بينما تسعى روسيا إلى الحفاظ على حياد الكيان في ملف أوكرانيا، والاستفادة من خبراته في مجال الابتكار.

باختصار، اتسمت العلاقات الروسية-الصهيونية في عام 2024 بتوازن دقيق بين التنافس الجيوسياسي والتعاون العملي. وعلى الرغم من الحذر العميق من تحالفات كل طرف، أولت موسكو والكيان أهمية للتواصل الاستراتيجي، ونقادي التصعيد، وتعزيز المصالح الاقتصادية المشتركة. وقد أثبتت هذه العلاقة مرونتها في ظل إعادة تشكل التوازنات العالمية، حيث سعى كل طرف إلى استثمارها لتعزيز مصالح الوطنية في مشهد إقليمي سريع التحول.

في الختام، يتضح من دراسة العلاقات بين دول البريكس والكيان الصهيوني أن التناقض بين الخطاب الرسمي المؤيد لسيادة الشعوب ومناهضة الهيمنة الغربية من جهة، والشراكات الاستراتيجية-الاقتصادية مع الكيان الصهيوني من جهة أخرى، ليس مجرد حالة عرضية، بل يمثل نمطاً متكرراً. إن ضعف الحراك الشعبي المؤيد لغزة وحقوق الفلسطينيين داخل هذه الدول، في مقابل استمرار العلاقات الحيوية والتبادلات التقنية والتجارية، يثبت أن نفوذ الكيان الصهيوني يمتد بفاعلية إلى دول صاعدة ودول الجنوب العالمية، ويشكل عاملاً مؤثراً في سياساتها الاستراتيجية. هذه المعطيات تؤكد أن هذه الدول لا تحركها المبادئ المعارضة للإمبريالية والاستعمار، بل المصلحة القومية والإقليمية، وأنها بعيدة كل البعد عن الروح الأممية الثورية التي ميزت دول الجنوب خلال فترات التحرر من الاستعمار الغربي. ويعكس ذلك قدرة الكيان الصهيوني على تثبيت موطئ قدمه داخل التحالفات الاقتصادية والسياسية لدول البريكس، بما يعزز نفوذه في ما يُعرف بمراكز القوة الصاعدة في النظام الدولي متعدد الأقطاب.



المخاطر التي نشأ فيها المد القومي العربي والطريق إلى الأمام

واصل البذور



تقديم

تعرض المد القومي، منذ نشأته، وحتى في الأزمان غير المعلومة أو غير الموثقة لدينا، إلى هجمات ومؤامرات من جهات متعددة منها الخارجية ومنها الداخلية. هذه نقطة يجب علينا فهمها كعرب فهماً كاملاً وبكل الأبعاد. حيث أن نشوء الدولة القومية العربية خطر وجودي على التغول الاستعماري، وخطر يحسر تمدد الكثير من دول النفوذ المستغل، كما أنه يضع الوطن العربي على سلم الحضارة الذي يخشاه الكثير من أقطاب العالم. حتى أن مجرد استقلال هذه المنطقة من دون قوة أو وحدة أصبح رؤيا مرعبة للمتحكمين بإدارة هذا العالم نفوذاً واقتصاداً، وكون هذا الخطر وجودياً أو شبه وجودي لكثير من الأنظمة والكيانات العالمية، علينا أن نفهم كيفية تفكير تلك العوالم تجاه عالم كعالمنا. وعندما نصل إلى هذه النقطة من الفهم، سنصل حتماً إلى قناعتين: الأولى هي أن علينا دوماً أن نكون أصحاب عقيدة وبرامج قومية عروبية وضمن ثوابت ورؤى محافظة تؤطر المفهوم والعمل والنتائج لحركة عربية واحدة وذات هوية واضحة. والقناعة الثانية هي أننا - وفي أي مرحلة كنا، سواء كانت مرحلة النشوء أو العمل أو قيام الدولة - يجب أن نكون في مرحلة التأهب والعلم لعدو محتمل نتيجة لوجودية الخطر المصاحب لأي مرحلة من مراحل الأمة أو الحركة أو الدولة العربية القومية.

إذا اعتقدنا بما سبق تصبح ضرورة لدينا، وبغض النظر عن المرحلة التي نكون فيها، أن نحدد مصادر الخطر والعداء سواء في وقت المرحلة أو في المستقبل. كما أن لكل مرحلة من مراحل المد القومي أعداءً بأشكال وأساليب وأحجام مختلفة، ويتطور حجم العداء والأعداء اضطراباً وبطردية مع تطور المرحلة القومية.



الظروف التي نشأ فيها المد القومي

ظهرت القومية العربية كتيار سياسي بوضوح في السياسة الأموية، وتجزرت في الدولة العربية العباسية عندما استشعرت خطر الأتراك السلاجقة والبوبهيين، وكان ذلك حفاظاً على الثقافة والهوية، وكذلك الدين، حيث أن الاختلاط أدى إلى تشوه اللغة وانحطاط في الثقافة، وحتى إلى ضعف في السلطة. أصبحت القومية العربية، وإن لم تكن كياناً سياسياً، أصبحت مصدر فخر ومباهاة. وقد تقبلت كل من يصف نفسه بالعروبة وينتمي لها، وإن لم يكن، وكل من ينطق العربية، وإن لم تكن لغته الأم. لكن، كون أنه في ظل دولة الخلافة الأولى والدولة الأموية والعباسية الأولى لم تكن التجزئة والتبعية مشكلة تذكر، وبتغير طبيعة جغرافيا الدول وأقطاب العالم عما كان عليه في الماضي، سيتم التركيز هنا على حقبة القرنين الأخيرين من هذا العصر.

بناءً على أحداث القرن الماضي يمكن وضع تصور عام للقاعدة التي يمكن من خلالها تحديد العدو والعدو المحتمل، بالإضافة إلى ماهية وطبيعة هذا العداء (وبطبيعة الحال، لكل من الحركة القومية والمد القومي والأمة العربية والدولة القومية العربية حال وجدت). وفي هذا السياق يبدو واضحاً للعيان أنه عندما بدأ ظهور حركات قومية مؤطرة بالمفهوم الحديث، وبغض النظر عن طبيعتها، سواء كانت جذرية أو متماهية أو بين ذلك، فجميع مستويات الحركة تم البطش بها، وذلك بدءاً من حركة القوميين العرب -بيروت 1857 - إلى الجمعية العلمية السورية المنتدى الأدبي وغيرها. قامت تلك الحركات إزاء عدوانيات ثلاث في ذلك الوقت: الاحتلال التركي الانتهازي، والاستعمار الغربي، وما تلا ذلك من تحضيرات وبدء تشكل للكيان الصهيوني.

فقد انتبه العرب الذين لم تنتشور ثقافتهم وتوجهاتهم، وينطبق ذلك على العرب بالعموم في ذلك الوقت، إلى خطورة الاحتلال العثماني الذي كان ينظر فعلياً إلى العرب على أنهم مستعمرات ومزارع لهم وليس كولايات ضمن دولتهم، حيث قد ورد ذلك نصاً في مذكرات سلطانهم عبد الحميد. ولم يكن ذلك مصدر الخطورة فقط الذي تنبه له العرب آنذاك، فقد وضع طبيعة الاستعمار العثماني وخريطة المناطق التي سيطر عليها موضع المسألة.

في هذا السياق، تمثل الخارطتان أدناه طبيعة وحدود ذلك الاحتلال عام 1739 و عام 1914 (الحرب العالمية الأولى). إن كلتا الخارطتين تشير إلى نهج ومبدأ لا إلى عفوية في الرسم أو مجرد خارطة احتلال، إذ تشير الخريطة الأولى مثلاً إلى مناطق السيطرة الكاملة (المناطق الملونة بالأخضر الداكن) أو التبعية ضمن حكم ذاتي (الأخضر الفاتح) إلى سيطرة ذلك الاحتلال على السواحل والمدن الرئيسية والمناطق الدينية فقط دون غيرها من المناطق. والمعنى المباشر لذلك هو السيطرة على المناطق الحيوية والمصالح من التجارة والطرق من خلال الممرات العالمية والسواحل التي تمتاز بها المنطقة العربية، وكذلك جعل مناطق المدن مصدراً للعمالة وأصحاب الحرف والمهن، والتي أدت بالنتيجة، في حقبة من الحقب، إلى تفريغ تلك المدن من الحرفيين والمتعلمين لصالح إسطنبول، وترك تلك المدن في تخلف عن بقية العالم إلى مصيرها كما حدث في مصر والجزائر وتونس وطرابلس الغرب. ومن ناحية أخرى قامت بالسيطرة على المناطق الدينية في الحجاز والشام وفلسطين والعراق وحققت أكثر من هدف رئيسي في ذلك. فهذه المناطق من حيث الموقع تمثل مركزاً للعالم من حيث التجارة والحروب والاتصال، ومن ناحية أخرى فهي مركز العالم الإسلامي، وبذلك يكون العثماني جنى تلك التبعية بعد أن كانت لأصحاب الحق والإرث التاريخي، وهم العرب.

الطرف الآخر للمعادلة والمنهجية المغولية العثمانية هو أنها، ورغم استغلالها اللامتناهي للمنطقة العربية، وبكل الاتجاهات، فقد تركت المناطق البعيدة عن المدن والتجارة والطرق خارج سيطرتها ولم تفكر أصلاً في إتباعها للدولة العثمانية وذلك لسببين: أولاً، خشية الاحتلال العثماني أن تصبح هذه المناطق عبئاً عليه من ناحية ما هو مطلوب من الدولة إزاءها، ومن ناحية خوفها من خروجهم عليها في المناطق البعيدة حيث تصعب السيطرة الكاملة عليها. وثانياً، وبذلك الخريطة، جعل الاحتلال العثماني من الوطن العربي أشلاء يصعب إعادة ترميمها من الناحيتين المعنوية والواقعية، حيث أصبح العرب أجزاءً وقطعاً تحت الدولة العثمانية وأجزاءً وقطعاً أخرى خارج حدود تلك الدولة المقيتة، والتي عبّدت الطريق المستقبلي للاستعمار الغربي في تقسيم المنطقة، كما حدث من ظهور الأمازيغ والطوارق وغير ذلك من حركات الانشقاق، والتي تركت آثاراً أيديولوجية وواقعية ما يزال العرب يعانون منها حتى هذه اللحظة.

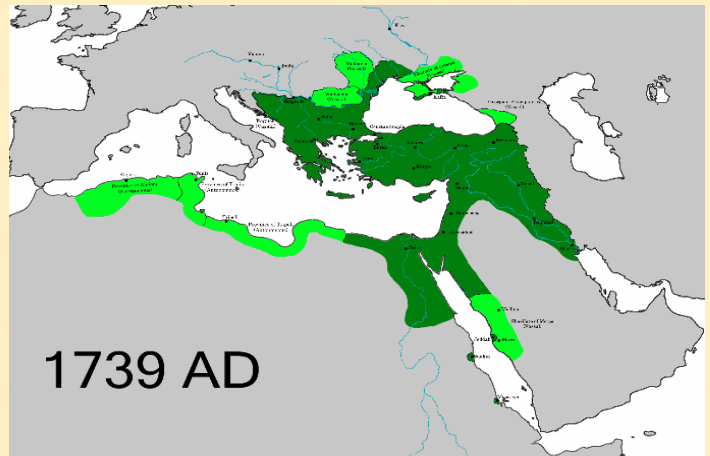
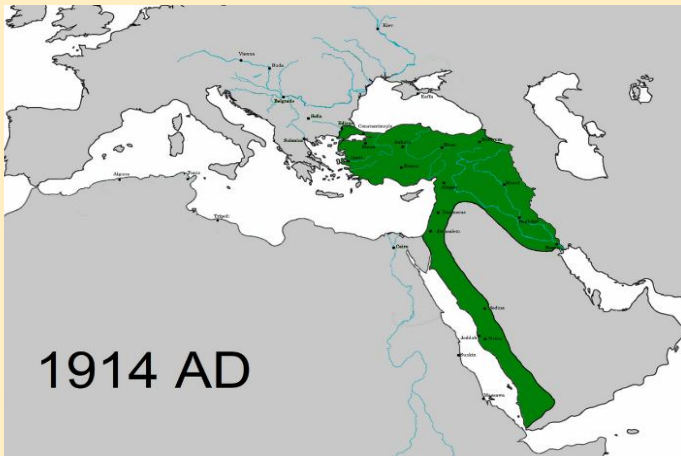
طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025

أما إذا نظرنا إلى الخريطة الثانية (1914) فهي تعبر عن مبدأ آخر، حيث أن انحسار الدولة العثمانية كان ذا بعدين كل منهما يمس الأمة العربية في الصميم. الواقع الأول أن أكثر من نصف مساحة هذا الانحسار لم يعبر عن ثورات عربية ولا تأمر على الأتراك كما يدعي البعض، وإنما يعبر عن عدم اتخاذ الحكومات العثمانية أي موقف سواء سياسي أو حربي تجاه قيام الغرب بالاستيلاء على تلك الولايات العربية منه، فقد تنازلت الدولة العثمانية عنها بكل سهولة لأنها ببساطة لم تكن تنظر إليها إلا كمستعمرات، وحتى أنها لم تدافع عن سيادتها إزاء ذلك، حيث أنها أوصلت تلك الولايات إلى الحضيض ولم تعد ترغب بالاحتفاظ بها. أما بالنسبة للنصف الثاني من الانحسار، وهو منطقة وادي النيل، فقد كان ذلك نتيجة الانفصال الذي قام به محمد علي الكبير، والذي أدى إلى ازدهار مصر على عكس ما كان سائداً زمن تبعيتها المباشرة لخلافة إسطنبول. ومن الجدير بالذكر هنا أن دولة الخلافة سيئة الذكر قد استعانت بالمستعمرين ضد مصر لكبح جماح محمد علي وسلالته مما يؤكد ما ورد سابقاً. وانتهى ذلك طبعاً باحتلال بريطانيا لمصر سنة 1882. ولننظر ما يحدث الآن في الشام حيث دعمت دولة الترك الجولاني وحاشيته لإسقاط دمشق ومن ثم تركتها لمصيرها أمام الصهاينة والانفصاليين وهو ما يعبر عن جوهر السياسات التركية تجاه العرب، ومنذ هارون الرشيد.



العدو التقليدي الآخر للقومية العربية ومدها هو الاستعمار الغربي. وهذا عدو تقليدي وضارب في عمق التاريخ للعرب، ومنذ الإغريق والرومان. لكن الفارق في حروب الاستعمار الغربي الحديث في الوطن العربي، أنه وقبل الاستعمار الحديث، حين كانت الحكومات العثمانية غارقة في نزواتها وشهواتها، كان الغرب يدرس المنطقة من خلال الرحالة والمستشرقين ويدس فيها سموم الأمراض الاجتماعية والفرقة من خلال تأسيس حركات دينية مشبوهة إلى مؤسسات سيطرة تحت مسمى شركات أو تجارات معينة. لقد أدى ذلك إلى تغيرات جذرية في الثقافة وتجذير روح النزاعات على قضايا وهمية أو مصنوعة، وكذلك تحويل القضايا الجانبية إلى قضايا محورية يدور حولها نزاعات ليست بالبسيطة.

إلا أنه، ورغم كل ذلك، عندما جاءت قوى الاستعمار الغربي إلى المنطقة تجلت القومية العربية بكل سطوع في لحمة العرب ودعمهم لبعضهم بعضاً، سواءً أكان ذلك نتيجة للعاطفة القومية التي لن تنطفئ يوماً أو لمنطق الجغرافيا السياسية التي تفرض قواعدها في كل وقت ومكان. ومن الأمثلة على ذلك دعم مصر عبد الناصر للثورات العربية ضد الاستعمار الغربي، وخاصة في الجزائر. وعلى الرغم من الخراب المسبق الذي أحدثته سياسات الغرب في المنطقة العربية، وتحت أنظار الدولة العثمانية، إلا أن زخماً عروبياً فرض نفسه واضطرت القوى الغربية للتعامل مع ذلك الواقع. لكن، ونتيجة قلة الخبرات العربية في المراس السياسي العالمي، وذلك نتيجة لسياسات التجهيل والإبعاد العثمانية، فقد نصب الغرب مصائد للعرب بحيث استطاع أن يمرر جزءاً من الثورات والمد العربي من خلال الاستعمار نفسه، وبما يحقق أهدافه. كان ذلك لأن الغرب فهم وبشكل كامل بأن مخططاته لن تمر من دون مقاومة وأنها ستصطدم بمارد المد القومي العربي، لذا قام ذلك الاستعمار ببناء مؤسسات في ظاهرها

طلقة تنوير

المجلة الثقافية للدوحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



ثورية أو قومية وخذعت الكثير من العرب وكانت تلك ثورات على طريقة الاستعمار ومؤسسات يمرر من خلالها أهداف الاستعمار الغربي بحذافيرها، ومن أهم الأمثلة على تلك المؤسسات جامعة الدول العربية.

النتيجة الأسوأ للاستعمار الغربي وعدائه للمد القومي هو إنتاجه لأعداء جدد في المنطقة ومنها، كانوا عدواً أنكى للوحدة العربية بشكل أو بآخر. لقد تمثل ذلك العدو الجديد بشقين: الأول هو الحكومات الرجعية العربية التابعة للغرب، والشق الآخر هو بعض الحركات التي أسسها الغرب في المنطقة إما بشكل مباشر أو من خلال الحكومات، ومن أهم الأمثلة عليها كثير من حركات الإسلام السياسي.

لقد عمل كل من هذين ، وعلى الرغم من أنهما وجهان لعملة واحدة، بمنهجية مختلفة كل واحدة منها تطعن في صميم العروبة. عملت الحكومات على تجذير مفهوم الدولة القطرية مشفوعة بالمادية الفردية التي تجعل الإنسان ينفصل حتى عن ذاته. بذلك بدأت ثقافة واهتمامات شعوب الكيانات القطرية تنصرف عن المصالح الكبرى التي تعود على الجميع بالازدهار إلى مصالح ضيقة وقصيرة الأمد تصب في دائرة الفرد الضيقة. أضف إلى ذلك أن الجماهير العربية أشبعت بثقافات تنصب على الولاء المطلق للحاكم ورؤاه بدلاً من الدولة أو الوطن والأمة.

أما بالنسبة للمؤسسات والحركات التي صنعها الغرب فقد ذهبت إلى ما هو أنكى، وكان ذلك من خلال آليتين مختلفتين وذات أثر كبير. الأولى هي آلية التكفير التي استتارت بها الحركات الإسلامية سخط الشعب العربي وعملت على إبعاده عن الحركات القومية. والآلية الأخرى هي إقناع الشعب العربي في أقطاره بالتبعية لحاكم وخليفة خارج المنطقة العربية وغير موجود أصلاً مثل ما يسمى بالخلافة العثمانية وإسلام إندونيسيا في بعض الأحيان وأفغانستان وباكستان وغيرها من ترهات الخلافة حيث حاولت هذه الحركات طمس التاريخ عبثاً، حيث أن خلافة هذا الأمة لم تكن يوماً إلا في داخلها من الحجاز إلى دمشق أمية إلى بغداد العباس ومصر الفاطميين.

عند تشخيص الأعداء بشكل دقيق نستطيع أن نذهب للمرحلة التالية وأن نوجه البوصلة بالاتجاه الصحيح.

التوجهات والمؤسسات القومية

الاختلاف في التوجهات القومية، وغياب المؤسسات القومية، وإن لم يوضع في خانة الأعداء للمد القومي، لكنه كان ذا وقع عكسي كبير على نهوض الأمة والحركة العربية. لم تكن المشكلة في الاختلاف بحد ذاته، وإنما بدرجة الاختلاف، والتي كثيراً ما كانت تصل إلى حدود مشبوهة. في القرن الماضي مثلاً كانت حركة القوميين العرب حركة محافظة تماماً، وعلى الجانب الآخر هنالك جمعية العربية الفتاة التي كانت تنادي بالتغريب وكل منها كان محسوباً بنفس القدر على العروبة والتيار العربي.

ومن الأمثلة الحالية على ذلك الحركات القومية التي تقبل بـ"حل الدولتين" في القضية الفلسطينية، والذي يعني الاعتراف بالكيان الصهيوني إلى الحركات القومية التي تتقبل وجود العرب في الكنيست إلى حركات تتحدث عن علاقات معنوية فحسب بين العرب، وهناك الذي ركز على الداخل، وبغض النظر عن الأعداء وطبيعتهم، فحرف بوصلته إلى ما لم تحمد عقباه. وعلى الطرف الآخر هنالك العروبيون المحافظون على المبدأ والثوابت والجذريون والذين لا يقبلون أن تشوب عروبتهم أي شائبة. هذا التفاوت كان مصيرياً وما تزال أفكاره وآثاره تفتك بالمد القومي إلى هذا اليوم، حيث أنه وبعيداً عن الانقسام والشبهات والتشردم فقد فتك بالحالة الذهنية وبالمبدأ لدى المواطن العربي حيث شوه الفكرة وشتت البوصلة لتصبح الرؤية ضبابية والفهم مشوشاً. لذا كثيراً ما قامت الحكومات الرجعية بتجذير تلك الخلافات وتعميقها. ولذا أصبحت تلك إحدى أهم المشكلات الرئيسية التي يجب علاجها أولاً لمعاودة البدء من جديد وبقوة.

أما بالنسبة لعامل المؤسسات، فذلك عنصر عانت منه حركات المد القومي العربي، ومنذ اليوم الأول، سواء كان ذلك بفعل فاعل أو بجهل أو بحسن نية. لكن النتيجة دائماً كانت طعنة في مقتل. فعندما تكون الحركات ذات طبيعة شاملة ومد عام وواسع، وخير مثال على ذلك المد القومي، وبعد تأطير الفكر والمنهج والسياسة يأتي حتماً وحكماً بناء المؤسسات. فوجود الحركة بدون مؤسسات هو تماماً كوجود برمجية ذات أداء عالٍ ولكن بدون وجود حاسب، فعلياً كما هي الروح بدون الجسد، تتحول إلى طيف

أو شبح. وهذا ما أجزم أن كل الحركات القومية فشلت فيه. مؤسسات الحركة يجب أن تشمل المدارس والتعليم والإعلام والتأهيل السياسي والقيادي والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية والخيرية، وكذلك المؤسسات المالية حيث يحتاج جميع ما سبق إلى المال. ولهذه المؤسسات أهمية حاسمة، وعلى عدة صعد، من بناء الفرد والجماعة فكرياً، وكذلك في توطيد الانتماء القومي واستمرارية الأجيال في كل شريحة فيه، وأن تكون كل شريحة مؤهلة لحمل اللواء عند حدوث أي طارئ للشريحة التي تعلوها. وكذلك تجعل المؤسسات المتكاملة من الحركة كياناً مستقلاً قادراً على النظر إلى المصالح العليا والعامة والاضطلاع بما يجب من الدور والمقاومة من أجلها من دون مهاودة أو تلوؤ.

هناك الكثير من الأمثلة على واقع غياب المؤسسات عن المد العربي، ومن ذلك أنه في اليوم الذي توفي فيه عبد الناصر خرجت مصر من المعادلة العربية، وفي اليوم الذي انتهى فيه حكم صدام حسين للعراق، انتهى كل من البعث والقومية العربية في العراق، ونفس الحدث تكرر باستشهاد القذافي في ليبيا ومغادرة نظام الأسد في سورية. إن ذلك المشهد هو تماماً مشهد غياب المؤسسات الحقيقية.

القضية الفلسطينية والمد القومي العربي

وعلى عكس ما سمي بالحركات الوطنية والإسلامية في المنطقة التي كان جل همها، وبعيداً عن الشعوب والأوطان، منصّباً على من الخليفة، من هو، ومن أين، وصيغة حكم الشعوب، وأنماط حياة مفترضة، فقد وضعت الحركات القومية المحافظة على المبدأ والثابت فلسطين بوصلة لها ومنذ أن بدأت القضية الفلسطينية. وحيث أن أحد أصول التجزئة هو وجود ذلك الكيان، فقد كانت القضية الفلسطينية المركزية التي من خلالها نحدد الصديق والعدو والحليف والمتآمر وبشكل لا يقبل المواربة، بالإضافة إلى القواعد المميزة بين الصحيح والخاطئ في المنهجية والسياسة والسلوك. ومن هنا فقد كانت طبيعة التحالفات التي نظر إليها القوميون العرب تختلف جذرياً عن التحالفات التي اتخذتها الحكومات والحركات الدينية. فحاولت الحركات القومية التحالف مع الاتحاد السوفياتي كعدو للإمبريالية الغربية التي أسست دولة الاحتلال الصهيوني، وكذلك يوغسلافيا سابقاً، وإلى حد ما الصين والهند في ذلك الوقت، والجمهورية الإسلامية الإيرانية حالياً.

في المقابل قامت الحكومات والحركات غير القومية باللجوء إلى الغرب كحليف، أي بمعنى آخر قذفت بنفسها إلى أحضان عدو لا يحترمها ولا يقيم لها وزناً بل يتخذ منها أداة يكسرها متى شاء. وقد يكون منشأ ذلك أن تلك الحكومات والحركات لم تكن القضية الفلسطينية هدفها أو أولوية لديها أو لأنها أصلاً أسست من الغرب ولأهدافه الصرفة. أدى كل ذلك إلى خلق طبيعة وحالة جديدة من الحرب على الحركات والحكومات العربية القومية على حد سواء.

الحرب على الأنظمة القومية

نتيجة للاختلافات الجذرية في الأهداف والمنهجية والأطر بين الحكومات العربية القومية والحركات القومية من جهة، وما سواها من حكومات وحركات من جهة أخرى، فقد بدأت حروب المنطقة والتي لم تطل بشكل رئيس إلا الأنظمة العربية القومية والحركات القومية. وقد اتخذت تلك الحروب شكلين: الحروب المباشرة من حرب 56 إلى حرب 67 إلى حروب العراق. أما النوع الآخر من الحرب فقد تم من خلال مرحلتين متتابعين، الأولى حرب تنفذ بيد الشعوب والحركات المشبوهة التي تم تأسيسها في الوطن العربي والتي لم تطلق طلقة واحدة باتجاه الكيان الصهيوني، وإنما كانت فقط للحرب على الحكومات القومية كما حدث في سورية وليبيا. وكانت المرحلة الثانية أن تقوم تلك الحركات بالاستمرار في الحرب لتلويث ثقافة الشعوب وتجزئة الدول كما سورية والعراق وليبيا كي لا يبقى أي رmq قومي في تلك الدول. كل تلك الحروب تركت الكيان الصهيوني يهاجم ويفتك بالعرب من دون مسائلة. أما في بقية الدول العربية فكانت ترفع شعار تحرير الشعوب من الظلم والاستبداد، ولكن كانت

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



فلسطين دائماً هي الاستثناء لتلك الحركات ليتبين فيما بعد أن كل تلك الثورات والحركات نشأت أصلاً من أجل بقاء الدولة الصهيونية لكيلا يقوم لما هو عربي قائمة بعد ذلك.

إعادة التأطير والمراجعة

بعد فشل وانتكاسة الحركات القومية الكبرى من حركة القوميين العرب إلى البعث الاشتراكي، وبعد سقوط الدول القومية: مصر وسورية والعراق وليبيا، أصبح المد القومي في مأزق حقيقي تتجلى فيه آثار المخاطر والأعداء التي تم طرحها فيما سبق. على الرغم من الواقع الراهن الرث للحركات القومية العربية الآن، فإن العقيدة والإيمان بيقين قويين بقوة الفكرة القومية التي لا تموت والتي أثبتت قوتها بإثبات صحة معطياتها وعناصرها نظرية وواقعاً. لذا يصبح الواجب المنوط الذي علينا أن نضطلع به هو إعادة البناء والتأطير مع كل ما يلزم على أن يترافق مع ذلك بالوقوف على المخاطر والمشاكل بكل حيثياتها والتعامل معها حسب المرحلة التي وصلت لها الحركة القومية من دون المساس بأي من الثوابت والقواعد.

فعلينا الآن أن نبدأ بمراجعة الفكر والممارسات القومية العربية على مر العصور لنخرج بفكر مطور محافظ على المبدأ والثوابت وحازم من دون هواة وتربية الأجيال والطلائع القومية على ذلك، ومن ثم البدء ببناء الحركة القومية بالتوازي مع بناء المؤسسات ووضع الخطط العملية والاستراتيجية للتصدي للمخاطر التي سبق ذكرها حيث أنها تتفعل بشكل تلقائي حال ظهور حراك قومي ذي معنى.

التطبيع .. الصفقة الخاسرة

كريمة الروبي

لا للتطبيع

التطبيع خيانة

" ثمن الكرامة والحرية فادح، ولكن ثمن الذل أفدح"... جمال عبد الناصر

انتشرت في الفترة الأخيرة التقارير والفيديوهات عن آراء السوريين في تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني والتي أظهرت تبني عددٍ منهم لخطاب يقبل بالتطبيع ظناً منهم بأن هذه الخطوة ستؤدي لتقدم وازدهار سورية.

لن نتحدث عن التطبيع بصفته خيانة للقضية الفلسطينية وتكريساً للاحتلال، وتشجيعاً له على استمرار جرائمه ضد الشعب العربي، ليس لعدم أهمية طرح تلك القضية، بل للرد على الواهمين بأن التطبيع مع الكيان الصهيوني سيكون سفينة النجاة من أوضاعهم المعيشية الصعبة التي سببها الحصار والحرب التي استمرت أكثر من عقد كان الهدف منها انهيار الدولة السورية تمهيداً لاحتلالها من القوات الموالية للاحتلال والتي بدورها فتحت الطريق للعدو الصهيوني لاحتلال الأرض والتجول بحرية في شوارع دمشق.

والسؤال هنا .. هل الدول التي قبلت بالتطبيع مع العدو الصهيوني قد حققت التقدم والازدهار المنشود لشعوبها؟

لقد انعكس توقيع اتفاقية كامب ديفيد على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر بالفعل، ولكن بصورة سلبية، وليس كما توهم البعض من أن انتهاء حالة العداء مع الكيان اللقيط سيجلب الهدوء والاستقرار والتقدم.

فقد تحولت مصر من دولة منتجة مستقلة اقتصادياً وسياسياً، إلى دولة تابعة تعتمد على المعونات والمساعدات التي تتلقاها من الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبح القرار السياسي المصري مرهوناً لها. وخضعت مصر لسياسة القروض التي كبلتها ونزعت استقلالها. أما بالنسبة للشعب المصري فقد أدت الشروط التي فرضها صندوق النقد الدولي إلى مزيد من إفقار المصريين

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



حيث اشترط بيع المصانع المنتجة، وتحولت مصر - التي كانت قد حققت اكتفاءً ذاتياً من احتياجاتها وكان شعارها في الإنتاج " من الإبرة للصاروخ" في ظل العداء مع العدو الصهيوني - إلى دولة تستورد حتى الإبرة بعد ما قررت إنهاء العداء مع الكيان الصهيوني وإقامة علاقات طبيعية معه. كما اشترط صندوق النقد الدولي رفع الدعم عن السلع مما جعل الحياة مستحيلة على ملايين المصريين الذين باتوا يعملون لدى القطاع الخاص الذي يستنزفهم من دون أجور عادلة بعد انتشار الخصخصة.

لم يحقق التطبيع للشعب المصري الازدهار الموعود، بل كان مجرد صفقة خاسرة لمصر ومكبساً كبيراً للعدو الصهيوني الذي حوّل أكبر عدو لها في المنطقة إلى صديق وأخرج مصر من المعادلة وهو يدرك تماماً أنه لا حل للقضية الفلسطينية بدون مصر التي كانت تقود الأمة العربية نحو التحرر من الاحتلال الصهيوني للأرض العربية.

إن الشعب المصري رغم مرور ما يقرب من نصف قرن على التطبيع مع العدو الصهيوني ما يزال رافضاً التطبيع، ولا يمكن أن ترى مشاهد تجول الصهاينة في شوارع القاهرة أو أن تقبل النقابات المهنية تطبيع أحد من منتسبيها وإلا مصيره الطرد منها. وظل التطبيع مقتصرأ على أنظمة كامب ديفيد المتعاقبة التي لم تستطع أن تفرضه على الشعب.

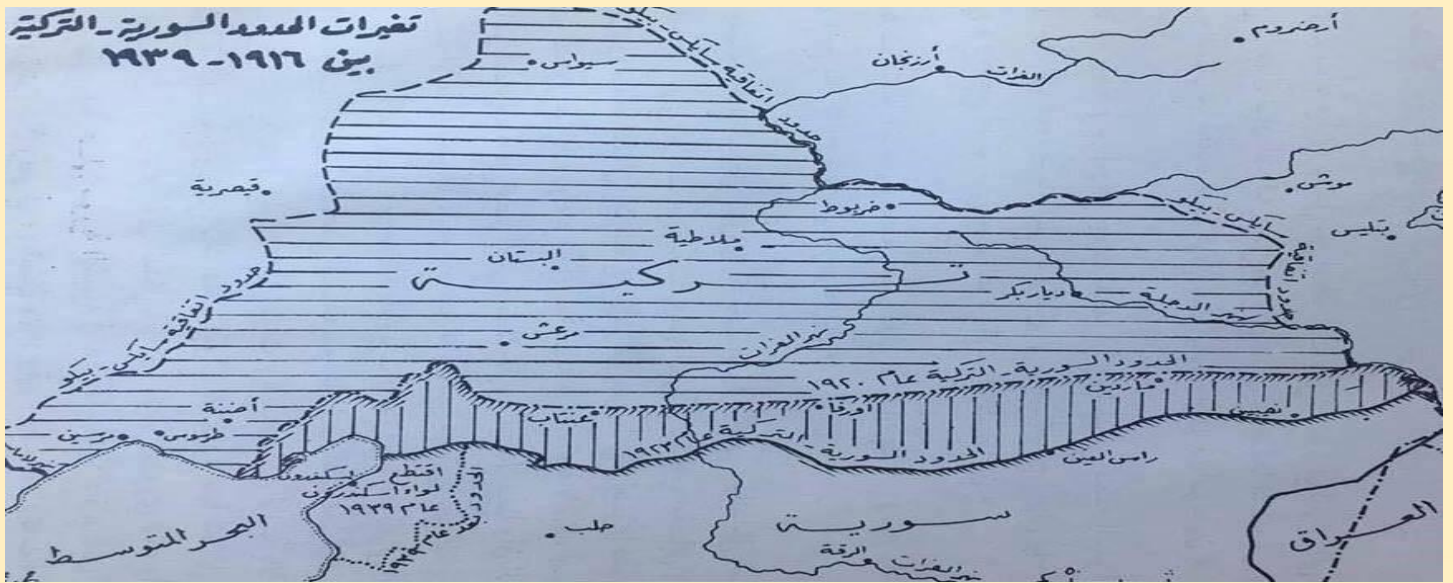
إلا أن قبول السوريين بهذه البساطة بالتطبيع مع العدو الذي تسبب في مأساتهم كان مفاجئاً للجميع. فقد رأينا العدو يتجول في شوارع دمشق بمنتهى الحرية والترحيب. قد تستطيع الأنظمة التنازل وإبرام اتفاقيات ضد مصالح شعوبها ولكنها لا يمكنها أن تفرض على تلك الشعوب التعامل مع أعدائها الذين تسببوا في حصارها وتجويعها وما زالوا يحتلون أراضيها.

لا شك أن الشعب السوري قد تعرض لظروف قاسية جداً من حرب وتدمير وحصار جعل الحياة مستحيلة في ظل تلك الظروف، ولكن عليه أن يدرك أن التنازل لن يمنحه حياة أفضل، وأن عود الازدهار التي تعقب التطبيع هي وعود كاذبة وصفقة خاسرة عانينا منها وما زلنا نعاني بل ستظل أجيال وأجيال تعاني بسبب تراكم الديون التي سببتها شروط التبعية.

قد تتعرض الدول التي قررت مواجهة أعدائها إلى الكثير من الصعوبات والضغوط بل وخوض المعارك من أجل الحفاظ على استقلالها، ولكن الاستسلام للعدو لن يحقق لشعوبها الرخاء، بل سيؤدي لإفقارها ويسلب منها استقلالها وكرامتها.

من سورية الكبرى إلى غيتو دمشق السلجوقي

سيف أبو عراج



بدأ التقسيم الفعلي للوطن العربي، وتحديداً المشرق العربي، متمثلاً ببلاد الشام والعراق، خلال فترة الاحتلال العثماني من خلال التقسيمات العثمانية ومن خلال ضعف البنية التحتية طول فترة حكمهم التي تميزت بإهمال الأراضي العربية بشكل كامل حتى وصل الأمر بالناس في سورية الكبرى الخوف من الانتقال من مدينة إلى أخرى بسبب قطاع الطرق وسوء تلك الطرق إن وجدت.

مربط الفرس في ذكر دور الدولة العثمانية هنا هو أنها تسببت في عدم وجود دولة عربية مما أدى إلى تفكك النسيج الاجتماعي الكبير في بلاد الشام كمثل، أي أن الاحتلال العثماني مهد الطريق لهذا التقسيم بتركه الأراضي العربية بعد خروجه منها في أسوأ أحوالها سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، فنرى أن أغلب المواطنين العرب خارج المدن المركزية لا يملكون سجلاً مدنياً، وكثيرٌ منهم لم يكن يملك صك ملكية لأرضه وأغلبهم لا يعرف يوم ميلاده بسبب انتشار الجهل والفقر وعدم وجود سلطة مدنية... إلخ. وهذا ينطبق بشكل كبير على المدن العربية فقط تحت الاحتلال العثماني، أي أنها كانت سياسة مقصودة مع سابق الإصرار والترصد.

بعيداً عن التقسيم العثماني للولايات العربية واختلافه من فترة إلى أخرى، فقد كانت الأراضي العربية التاريخية في أغلبها تقع تحت التقسيم الإداري العربي لهذه الولايات وأهمها ولايات الموصل وحلب وبيروت وبغداد ودمشق في بلاد الشام والعراق، ورغم اكتساح العنصر العربي لهذه الأراضي قبل وأثناء وبعد الاحتلال العثماني إلا أن الكثير من هذه الأراضي تمت سرقتها

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

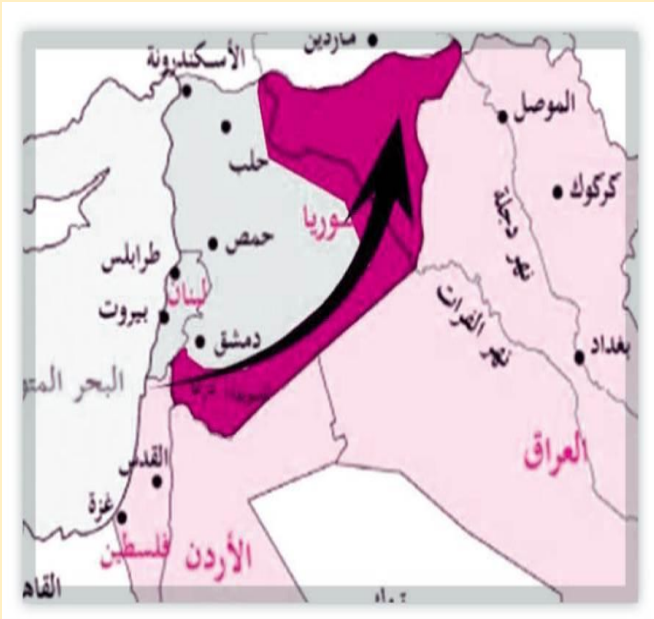
01 أيلول 2025



بشكل علني من قبل تركيا إثر اتفاقيات مختلفة، بداية بسايكس وبيكو مروراً باتفاقيات سيفر ولوزان في عشرينيات القرن الماضي.

خسرت بلاد الشام الممثلة بسورية الكبرى "سورية ولبنان والأردن وفلسطين وأجزاء من سيناء" أغلب هذه الأراضي التاريخية التي ملكها العرب منذ آلاف السنين، وهي أقاليم الإسكندرون وكيليكيا والجزيرة العليا وأجزاء من الجزيرة الفراتية وجبل الأكراد. هذه الأقاليم تشمل مدن أنطاكية وإسكندرون ومرعش وعينتاب وأورفة وماردين ونصيبين وشمال الخابور ولواء ديار بكر وأرسوز وبعض القرى الحدودية وغيرها.

تمثل هذه الخسائر أكبر خسائر في الجغرافيا والسكان في تاريخ الوطن العربي الحديث، بعيداً عن الخسائر الاستراتيجية كالموانئ والسواحل والمقدرات الاقتصادية المختلفة، وعدة ملايين من السكان العرب الذين تم تتريك الكثير منهم بالقوة خلال القرن الفائت. تكمن الخسارة الحقيقية في إضعاف الجمهورية العربية السورية تاريخياً فقد خسرت خط الدفاع الأول، أو كما سمي خلال فترات الحكم العربي الإسلامي بالثغور، فقد كان لهذه الخسارة نتائج مرة على سورية قيادةً وشعباً أهمها هو أنها أصبحت خاصرة رخوة للجغرافيا العربية من الشمال بسبب الأطماع التركية التي لم تنته بل راحت تكبر يوماً بعد يوم.



من الواضح أن تسمية سورية الكبرى تحمل الكثير من الخلل الآن وخصوصاً مع خسارة كل هذه الأراضي. ففي الحقيقة تمثل الأراضي التي سُرقت من قبل الأتراك عبر تواطؤ غربي جزءاً أكبر بكثير من مناطق جنوب سورية، مثلاً "فلسطين والأردن". لذلك، يجب إعادة التذكير دوماً بهذه الأراضي العربية ليس ترفاً أو تعصباً قومياً بل على العكس تماماً لأنها حاجة استراتيجية لكل مواطن عربي يحتمل التفكير بالمستقبل العربي، فالسكوت عن سرقة هذه الأراضي أوصلنا إلى خسارة الحدود الشمالية مع تركيا الآن وأجزاء من حلب وربما الجزيرة الفراتية لصالح مشروع انفصالي كردي خائن.

من الواضح أن الاتفاقيات والتفاهات الغربية التركية والصهيونية تسيّر وفق مخطط تفتيت سورية إلى الأبد من خلال تقاسم النفوذ وقريباً الجغرافيا السورية بين الترك والصهاينة، إلا أن الخطورة الأكبر في هذه التفاهات، أي المؤامرات، تحدث أمام عيون حكام

سورية الجدد بل ولبنان أيضاً. فهي بما يعكس الواقع أصبحت اتفاقيات موافق عليها سورياً، وهذا طبيعي بالنظر إلى تاريخ الحكام الجدد في سورية بني أمية، كما يعتقدون. لكن الغريب هو عدم وجود ردة فعل نخبوية أو شعبية من قبل الشعب العربي السوري، فحقيقة ما يحدث الآن ربما سيتسبب في خسارة سورية كلها إلى الأبد وتحولها إلى وكر دعارة ومناطق حرة يباع فيها الإنسان بثمن بخس ويشترى بثمن أبخس!

يتواصل قضم الأراضي العربية السورية يوماً بعد يوم تمهيداً للتقسيم بغض النظر عن شكله، فهناك الكثير من المخططات الجاهزة، والتي تم ربطها بالتاريخ والسكان، بل هناك هويات فرعية جاهزة لهم في كل بقعة سورية ولبنانية، بل وأردنية وعراقية وفلسطينية. نعم، فالهويات المحلية الآن تباع في سوق الكتاب لمن يدفع أكثر.

هذه الهويات في أغلبها هويات مزيفة ومتخيلة صنعت بدقة في مختبرات وجامعات الغرب، وتم تعزيزها تاريخياً وسياسياً منذ أكثر من مائة عام، وبالتالي تكمن الخطورة الآن في قناعة بعض المواطنين العرب بشكل حقيقي، وفي بعض الأحيان واعٍ



سياسياً، بأن هذه الهوية تشكل قارب النجاة له ولأمثاله، بالتالي سيقاقل دفاعاً عن هذه الهوية المتخيلة إلى جانب الغرب أو تركيا أو حتى الكيان المختلق كما هي هويته الآشورية، أو الدرزية أو المسيحية أو الأرامية أو البدوية.... إلخ.

ربما يظن البعض أن هذه الهويات أساسها طائفي، كالدروز مثلاً، أو طائفي وتاريخي "عربي"، كالأشوريين والآراميين، وحديثاً الأنباط. هناك الهوية اللبنانية أيضاً التي تم تعزيزها بالروايات والسرديات التاريخية، ومن ثم الطائفية، بحيث تحولت إلى هوية وطنية بالرغم من أنها هوية فرعية تقع تحت الهوية العربية الأعم والأشمل، وإن لم تعجبك الهوية العربية، فالهوية السورية الأكبر والأشمل، ليس فقط للبناني بل للفلسطيني والأردني، فعندما نقوم بتحرير فلسطين ستذهب هذه الهويات مهبط الريح عزيزي القارئ بغض النظر عن الكيفية، إلا إنها هويات وظيفية قاتلة للجماعة والوطن الكبير، فهي قبل أن تقتل لبنان مثلاً تقتل سورية أيضاً.

ربما لا نجد هوية قومية في الوطن العربي إلا ولها أساس تاريخي في الماضي من خلال كتب علم الآثار والتاريخ، وبالتالي يسهل تأصيل أصول تلك الطائفة أو مجموعة بدو معينة مثلاً، وفي حال أردنا عمل مقارنة بين هذه التباينات الثقافية والاجتماعية في الوطن العربي وأوروبا مثلاً لوجدنا دولة بحجم فرنسا تحمل الكثير من الفروقات بل والاختلافات أكثر بكثير من الاختلافات التي يتحدثون عنها في سورية مثلاً، وإن عدنا للخلف 150 عاماً لما رأينا الكثير من هذه الهويات والجماعات الحاملة لها والتي تفتخر بها بل وتحفل بأعياد خيالية لم يكن لها وجود قبل قدوم مستشرفي الغرب، وأكبر مثال على ذلك من يسمون أنفسهم آشوريين الذين، بالمناسبة، لا يتحدثون الآشورية بأي شكل من الأشكال. فاللغة الآشورية كلغة انقرضت ولا يمكن لأحد معرفة كيفية نطقها، فهم يتحدثون السريانية الممزوجة بالكثير من الكلمات العربية والكردية وربما الفارسية.

ليس فقط هؤلاء المذكورون أعلاه، بل الدروز العرب، أو لنقل جزء كبير منهم يتماهى بهويته التي في الحقيقة لا يمكن أن تقوم لها قائمة من غير وجود سورية موحدة أقلها بحدود سايكس وبيكو، فهم عبارة عن عرب أقحاح لا يختلفون عن العربي المسيحي سوى بالدين فقط لا غير، وما دفعهم تاريخياً للمقاومة أو الخيانة عوامل وأسباب خارجية كالاحتلال الفرنسي، ومن ثم الاجتياح الصهيوني للبنان، ومن ثم الحرب على سورية خلال العقد الأخير.

التقاطع الأهم في كل ما ذكر عن هذه الهويات هو أنها جميعاً تظهر وتتعزز في ظل غياب أو ضعف الدولة ووجود تدخلات خارجية عنيفة أم سلمية. ففي الحالة السورية، بدأ الأكراد مثلاً في الحراك خلال أواخر النصف الثاني من القرن العشرين وذلك بسبب تدخلات خارجية، ومن ثم بسبب التدخلات الأمريكية بعد غزو العراق، وتم تعزيز وتسليح هذا الحراك في بداية الحرب على سورية حديثاً ومن ثم رأينا الحراك السني في سورية، نعم السني وتحديداً في الشمال وصولاً إلى حماة وريف دمشق ودرعا معززاً بالمال التركي والقطري والصهيوني، وبعشرات الآلاف من المسلحين الأجانب والعرب إضافة إلى أغلبية سورية مرتزقة أو غسل دماغها تكفيرياً.

إذاً، لا يمكن ربط هذه الهويات بأرض تاريخية سوى من خلال الهوية الأساس، وهي الهوية العربية ليس فقط في سورية، بل في كل الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، ففي فلسطين لا يوجد للأرض سوى هوية عربية صرفة لا مسيحية ولا إسلامية. فالعرب كانوا قبل مجيء هذه الأديان وبقوا من بعدها، ليس فقط لأن هذه الأرض تتكلم العربية بل بسبب الحقائق المادية التاريخية في فلسطين وما حولها. لذلك، لا يمكن فك الارتباط بين الهوية وكل ما له علاقة بها بحسب الواقع أو الماضي أو الظرف الموضوعي فموضوع الهوية أوضح من أن يتم تركيب هوية على مكان معها وربطها بشكل اعتباطي بهذا المكان، فالهوية العربية تحمل أساساً مادية تاريخية ومعنوية ومصلحية أساساً لكل مواطن عربي. هذا الطرح ينطلق من وجود مصلحة عربية تاريخية في الوحدة القومية والتي من غيرها لا يمكن صد الأطماع الكونية في هذه الأرض وخيراتها وموقعها، من غير رؤى وممارسة وحدوية ستضيع المدن العربية واحدة تلو الأخرى.



الصفحة الثقافية: فيلم "الأرض" حكاية الفلاح المقاوم

طالب جميل



على الرغم من التوجه الليبرالي الواضح في غالبية أفلام المخرج المصري "يوسف شاهين" مثل "اسكندرية ليه، الآخر، اسكندرية نيويورك، حدوته مصرية، اسكندرية كمان وكمان"، والتي كانت مخصصة للحديث عن سيرته الذاتية وتجربته في بلاد الغرب، وعبر من خلالها عن مكنونات شخصيته الممتلئة بكمية كبيرة من النرجسية، إلا أن فيلم "الأرض" الذي قدمه شاهين في العام 1970 كان بمعايير ومقاسات مختلفة عن بقية أفلامه، فالعمل يشهد له القاصي والداني أنه من أفضل ما أنتجت السينما المصرية، حيث تم تصنيفه في المركز الثاني ضمن أفضل 100 فيلم في تاريخ السينما المصرية.

الفيلم من إنتاج المؤسسة المصرية العامة للسينما، وهو مأخوذ عن رواية "الأرض" للكاتب عبد الرحمن الشرقاوي. صدرت تلك الرواية في العام 1954، وتعتبر من أفضل الروايات العربية التي تناولت موضوع الدفاع عن حقوق الفلاحين والتمسك بالأرض ومقاومة الظلم، وضم نخبة من ألمع نجوم السينما في ذلك الوقت مثل "محمود المليجي" و"عزت العلايلي" و"يحيى شاهين" و"نجوى إبراهيم" و"حمدي أحمد" و"توفيق الدقن" و"صلاح السعدني" و"علي الشريف"، وتدور الأحداث في إحدى القرى المصرية خلال فترة الثلاثينيات.



يعيش أهالي القرية الذين يعملون في الزراعة واقعاً بائساً لدرجة كبيرة، ورغم ذلك يصدر قرار حكومي يتم بموجبه تقليل دورة الري إلى خمسة أيام بدلاً من عشرة ويصبح الري منصفة بينهم وبين أحد الإقطاعيين الموالين للإنجليز الذي يدعى "محمود بك"، مما يسبب صدمة كبيرة لكافة الأهالي الذين شعروا بالظلم والظلم نتيجة هذا القرار الجائر وعبروا عن رفضهم له، فيجتمعون للتشاور ولمحاولة الوصول إلى حل يضمن لهم استمرار الري لمزروعاتهم ولحمايتهم من الجفاف والعطش.

يتفق الأهالي على تقديم عريضة للحكومة من خلال "محمد أفندي - الفنان حمدي أحمد" وهو الشاب المتعلم في القرية. ويتم تقديم العريضة بالتنسيق مع الإقطاعي "محمود بك" الذي يستغل توقيعاتهم لينشئ شارعاً خاصاً للسرايا الخاصة به المقطعة من الحكومة، ومن خلال هذا الطريق الجديد يقوم بالاستحواذ على مزيد من أراضي الفلاحين بعد أن أخبرهم أن هذا المشروع ستستفيد منه القرية.

نتيجة ذلك يثور الفلاحون بقيادة "محمد أبو سويلم - الفنان محمود المليجي" دفاعاً عن حقوقهم وأرضهم، فترسل الحكومة قوات الهجانة للسيطرة على القرية وتعلن حظر التجول، ويتم انتزاع الأراضي مناهم بالقوة، فيجد "محمد أبو سويلم" نفسه مع ثلة من رفاقه الفلاحين في هذه المواجهة بعد أن تخلى عنهم أهم أصدقائهم، فيتعرض هؤلاء الفلاحون الذي كانوا في صفوف المجاهدين في ثورة 1919، وسبق وأن ناضلوا ضد الاحتلال الإنجليزي، للضرب والتفكيك ويتم سحل أبو سويلم وجرحه وهو متشبث بأرضه ودمائه تسيل وأصابه مغرسة بترابها في مشهد من المشاهد التاريخية في السينما المصرية.

تضمن العمل من خلال بعض المشاهد محطات مهمة لا بد من الوقوف عندها وتأملها بدقة، فمثلاً مشهد عمدة القرية وهو يوجه رجاله لاعتقال الفلاحين الذين قاموا بمخالفة الأوامر لكي يضمن رضا السلطة عليه ليخسر بذلك الشرفاء من أهل القرية. وكذلك موقف "الشيخ حسونة- الفنان يحيى شاهين" الذي عاد من المدينة لمؤازرة أهالي القرية لكنه ينسحب لاحقاً بعد أن اتفق بالسر مع الإقطاعي "محمود بك" بأن لا يمر الطريق الجديد من أرضه، ومشهد أهالي القرية وهم يقومون بتكسير ورمي الحديد الخاص بالمشروع الجديد "مشروع السكة الزراعية" ومهاجمة الجنود لهم.

الفيلم واقعي جداً امتاز بالطرح المباشر بدون تكلف أو مبالغة، وكان بعيداً عن الغموض الذي يكتنف أغلب أفلام "يوسف شاهين"، وتناول قضية الأرض وأشار إلى عمق العلاقة التي تربط الفلاح بأرضه، وعبر بوضوح عن قيمة الوحدة وخطورة شق الصفوف وتفضيل المصلحة الفردية على مصلحة الجماعة، كما حرص على الثورة ضد الظلم ومقاومته وأظهر شخصية الفلاح الثوري الراض بالاعتداء على أرضه وحقه.

رغم النهاية القاسية لـ "محمد أبو سويلم" الفلاح القيادي صاحب الصرخة الثورية، إلا أن الفيلم قدم نموذجاً معبراً في الصمود والتضحية والبطولة من خلال هذه الشخصية، وشخصية "عبد الهادي - الفنان عزت العلايلي" الذي كان المساند والمؤازر لموقف "محمد أبو سويلم"، مثلما قدم نماذج لشخصيات انتهازية وعميلة وليبرالية تبحث عن خلاصها الفردي مثل العمدة الذي يمثل الشخصية المتواطئة مع السلطة من أجل الحفاظ

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



على مصالحتها، والشيخ حسونة الذي يمثل من زاوية أخرى نموذج للمثقف الانهزامي المنفصل عن واقع مجتمعه.

ولأن الفيلم خرج بهذا الصورة المثالية فلا بد من الإشادة بالأداء الذي قدمه بعض الممثلين وخصوصاً الذين قاموا بالأدوار الرئيسية في الفيلم مثل "محمود المليجي"، والذي قام بأداء دور من أفضل أدواره في السينما فترك بصمة كبيرة من خلال أدائه التعبيري والاستثنائي في هذا العمل، وكذلك "عزت العلايلي" الذي قدم أداءً عالياً وسطر اسمه كأحد نجوم هذا العمل، وكذلك "يحيى شاهين" الذي قدّم دور "الشيخ حسونة" بحنكة وذكاء كبير، كما لفت النظر الفنان "علي الشريف" الذي قدم أول أدواره السينمائية واستطاع ترك بصمة مهمة له في هذا العمل.

وهنا لا بد من الإشارة بدور المخرج في تقديم هذه اللوحة السينمائية الخلابّة التي سارت بخط درامي مليء بالإثارة وعبر أدوات فنية وحلول إخراجية ملفتة وبساطة فنية عميقة ومنقّنة، من خلال قصة وسيناريو محكم وأداء مميز لفريق التمثيل وتقنيات فنية ذات جودة عالية، وموسيقى تصويرية قدمها الفنان "علي إسماعيل" وصارت أيقونة للسينما المصرية خاصة أن أحداث الفيلم اختتمت بأغنية تلهب المشاعر تقول كلماتها: "الأرض لو عطشانة نرويها بدمانا.. عهد وعلينا أمانة هتصبح بالخير مليانة.. يا أرض الجدود يا سبب الوجود.. هنوفي العهود بروحنا نوجد.. وعمرك م تباتي عطشانة...".

استطاع هذا الفيلم الملتزم أن يكون أحد أهم كلاسيكيات السينما المصرية وأفضل ما تم إنتاجه عبر تاريخها كونه فيلماً جماهيرياً يلامس هموم شريحة واسعة من المجتمع المصري والعربي، تم من خلاله تسليط الضوء على الواقع الإنساني الذي عاشه الفلاحون المهمشون في مرحلة من تاريخ مصر، واستطاع الانتصار لفكرة التحرر من الظلم والتأكيد على رمزية الأرض كإطار اجتماعي وكوطن، وتعظيم فكرة التضحية والمقاومة من أجل إعلاء قيمة الأرض التي تمثل الوطن بشكل أو بآخر.

قصيدة العدد: شمس الحق (في الذكرى السنوية الأولى للراحل العظيم)

عبد الرزاق عبد الواحد



وقفت عليهم بدوها وختامها
ولكل مبرئ أمة آلامها
ولأنت تائرها فانت إمامها
وعليك وحدك رفرفت أعلامها
ولها بشير يقتفي كرامها
في هولة رب العيون ظلامها
فهزتها فتكسرت أختامها
واستيقظت حرماؤها وذمامها
من حول هامتك العظيمة هامها
في عارضيك صلاتها وصيامها
نكفت إليك جريحة أحلامها
بدم الكرامة رنرت أكامها
وتعطرت بدمائهم آكامها
ثلمت ولا ضننت بها أجسامها
ري للبنان الكريم غمامها
تمحى وتصبح عبرة أيامها

أبشر فكل عظيمة وعظامها
ولكل تائر أمة نخواتها
ولأنت مبرؤها فانت شهيدها
فإليك وحدك أزلفت صهواتها
حسن ابن نصر الله كل كريمة
أسرجت حزب الله ضوء مجرة
ختمت محارزها جميعها بالعمى
وتفتحت كل القلوب على الهدى
فأنتك حاسرة تموج مهيبه
هي ذي شمس الحق تلمع كلها
وجهادها وعيون كل صغارها
فنهضت تحضنها وحولك عصبه
هبوا فزلزلت الجبال لوقعهم
أولاء نصر الله لا أرواحهم
هم وارثو دم أهلهم ودمائهم
وبهم تواريخ الهزيمة كلها

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



أَسْدُ تَلْبُدُ حَوْلَهَا أَجَامُهَا
وَعَلَى نَجِيكِ حَرْبُهَا وَسَلَامُهَا
وَلَأَنْتِ أَنْقَى مِنْ نَمْتِ أَرْحَامِهَا
شَرْفًا تَعْتَرِ دَوْنَهُ حُكَامُهَا
مَنْ أَنْ يَقَالَ حَفِيدُهَا شَتَامُهَا
وَعَدُو كُلِّ رِسَالَةٍ أَعْمَامُهَا
مَنْ فَرَطَ مَا شَاخَتْ بِهَا أَوْرَامُهَا
فَأَقَامَ فَوْقَ ظُهُورِهَا أَصْنَامُهَا
وَاسْتَرْوَحَتْ فَتَفَاقَمَتْ آثَامُهَا
وَإِذَا بِسَيِّدِ أَمْرِهَا حَاخَامُهَا
زَاغَتْ وَلَا طُوتَ الْجَنَاحُ شَأْمُهَا
سَلِمَ تَزِيدَ بِشَفَرَتَيْهِ خِيَامُهَا
قَوْسٌ تَقَاتَلُ فِي الْعِرَاقِ سِيَاهُهَا
لِبْنَانُ فَيْكُ يِهَابُهَا نَمَامُهَا
يَعْلُو عَلَى كُلِّ الْكَلَامِ كَلَامُهَا
أَصْوَاتُهَا وَعَوَتْ عَلَيْكَ لَنَامُهَا
وَلِكُلِّ غَابَةِ جَنْدَلٍ أَقْرَامُهَا
أَزَكَى النُّفُوسِ تَلْبَدَتْ أَطَامُهَا
لِبْنِ الشَّهَادَةِ فَاسْتَحَالَ فِطَامُهَا
هَذِهِ عَرُوبَتُهَا وَذَا إِسْلَامُهَا
أَنَّ الْكَرَامَةَ مَاؤُهَا وَطَعَامُهَا
وَقَفَتْ عَلَيْهِمْ بُرُؤُهَا وَسَقَامُهَا
أَنَّ الْجَنُوبَ بَوَسَعَهُ إِتَامُهَا
تَرْجُو التَّمَامَ وَفَيْكَ أَنْتِ تَمَامُهَا

صَدَقَ الْجَنُوبُ فَمَلَّاءُ كُلِّ فِجَاجِهِ
وَقَفْتُ عَلَيْكَ قُعُودُهَا وَقِيَامُهَا
فَلَأَنْتِ أَنْقَى مِنْ حَمَى حُرْمَاتِهَا
وَلَأَنْتِ أَوْفَى مِنْ أَعَادِ لَأَهْلِهَا
أَمَّا عَمُومَتُكَ الَّتِي وَأَعِيدُنِي
فَهَمَّ عَدُوُّكَ يَا حَفِيدَ نَبِيِّهِمْ
هِيَ أُمَّةٌ عَثَرَتْ وَطَاحَ سَنَامُهَا
خَذَلَتْ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَطَاطَأَتْ
وَاسْتَنْوَقَتْ فَتَصَاغَرَتْ أَحْجَامُهَا
وَإِذَا بِصَاحِبِ دِينِهَا دِينَارُهَا
حَسَنَ ابْنِ نَصْرِ اللَّهِ لَا لِبْنَانِهَا
حَاشَا وَلَا جَنَحَتْ فِلَسْطِينُ إِلَى
أَمَّا الْعِرَاقُ فَأَنْتِ مِنْ أَقْوَاهِ
يَخْشَى اللَّثَامُ نَصَالَهُنَّ بِقَدْرِ مَا
بِكَ أَنْتِ أَلْسَنَةُ الْكَرَامَةِ جِسْرُهُ
فَلَنْ سَمِعَتْ بَنَاتُ آوَى قَدْ عَلَتْ
فَلِكُلِّ مَسْبِغَةٍ جُحُورِ صِلَالِهَا
يَا جَنْدَ نَصْرِ اللَّهِ يَا أَسْدًا عَلَى
وَلِدَتْ بِأَحْضَانِ الْجِهَادِ وَأَرْضَعَتْ
إِلَّا عَلَى قِيمِ الْبَطُولَةِ كُلِّهَا
وَأَعَزُّ مَا فِيهَا وَأَعْظَمُ إِرْثُهَا
أَبْشُرَ فِكْلِ عَظِيمَةٍ وَعِظَامُهَا
قُولُوا لِإِسْرَائِيلَ إِنَّ هِيَ أَنْأَمَتْ
هِيَ يَا ابْنَ نَصْرِ اللَّهِ يَقْظَةُ أُمَّةٍ

لم يكفهم الحقد، بل كانوا بحاجة إلى أكثر من 80 طناً من المتفجرات لاغتيال السيد حسن نصر الله في قلب الجنوب، في السابع والعشرين من أيلول، وظنوا وقتها أنهم أطفؤوا الشمس، ولم يدركوا أن الشمس قد بعثت فينا شمساً، هل مات؟ لا يموت من حررنا، بل اختفى؟ وأين يختفي من سكن القلوب، هو ذا يشرق في صرخة كل موجوع وكل طلقة رصاص، في كل مدفع وفي كل ساح، لأنه لم يترك الساح، واستشهد فيها، سلام عليك يا سيد، وعلى العهد باقون.

قصيدة شمس الحق، مهداة إلى السيد حسن نصر الله، يكتبها الشاعر الكبير عبد الرزاق عبد الواحد منذ أكثر من عقد لتبقى شاهداً على عظمة ما جاء الزمان بمثلها، ولن يجيء.

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025

رسوم العدد



طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



حي الزيتون

يكتب نهايتكم

שכונת זית
כותב את הסוף שלך

Bitar abbass

٢٠ آب ٢٠٢٥

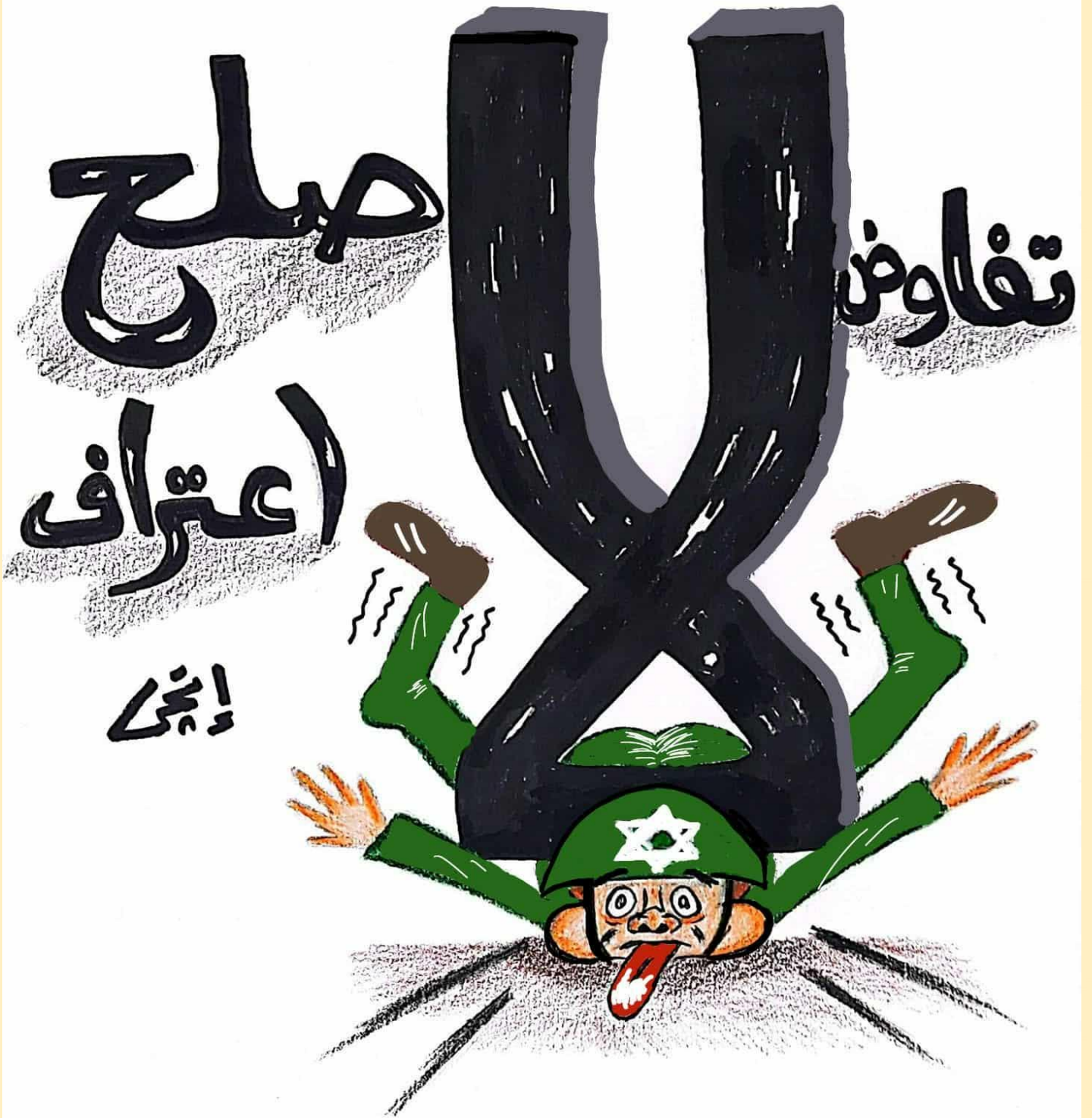
30 באוגוסט, 2025

طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



طلقة تنوير

المجلة الثقافية لللائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



كامل شراف
KAMAL SHARAF

طلقة تنوير

المجلة الثقافية للائحة القومي العربي

ع 99 دد

01 أيلول 2025



المجلة الثقافية للائحة القومي العربي